

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سُورَةُ قَزِيمٍ

مَكِّيَّةٌ [إِلَّا آيَتِي ٥٨ و ٧١ فَمَدَنِيَّتَانِ]  
وَأَيَاتُهَا ٩٨ [نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ فَاطِرٍ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كَهَيْعَصَ ﴿١﴾ ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكُمْ زَكِرَاتًا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾

﴿كَهَيْعَصَ ﴿١﴾﴾: قرأ بفتح الهاء<sup>(١)</sup> وكسر الباء: حمزة، وبكسرهما: عاصم، وبضمهما: الحسن، وقرأ الحسن ﴿ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ أي: هذا المثلون من القرآن ذكر رحمة ربك، وقرئ: «ذكر»: على الأمر<sup>(٢)</sup>، راعى سنة الله في إخفاء دعوته؛ لأن الجهر والإخفاء عند الله سيان، فكان الإخفاء أولى؛ لأنه أبعد من الرياء وأدخل في الإخلاص، وعن الحسن: نداء لا رياء فيه، أو أخفاه لثلا يلام على طلب الولد في إبان الكبيرة والشيخوخة<sup>(٣)</sup>، أو أسره من مواليه الذين خافهم، أو خفت صوته لضعفه وهرمه، كما جاء في صفة الشيخ: صوته خفات، وسمعه تارات، واختلف في سنن زكريا - عليه السلام - فقيل: ستون، وخمس وستون، وسبعون، وخمس وسبعون، وخمس وثمانون.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَلَّ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ

شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾

قرئ (وهن): بالحركات الثلاث؛ وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو

(١) قوله «كهيعص قرأ بفتح الهاء» عبارة النسفي. قرأ علي ويحيى بكسر الهاء والياء، ونافع بين الفتح والكسر، وإلى الفتح أقرب. وأبو عمرو بكسر الهاء. وفتح الباء. وحمزة بعكسه. وغيرهم بفتحهما (ع).

(٢) قوله «وقرأ الحسن (ذكر رحمة ربك) أي هذا إلخ» يحتاج إلى تحرير، فإن الرفع قراءة الجمهور. وقوله «ذكر على الأمر» أي (رحمة ربك) بالنصب. (ع).

(٣) قوله «في إبان الكبيرة والشيخوخة» في الصحاح: الكبر في السن، والاسم الكبيرة بالفتح. وفيه أيضاً: شاخ الرجل يشيخ شيخاً بالتحريك: جاء على أصله، وشيخوخة أه. وليس فيه شيخوخة. وفيه أيضاً: إبان الشيء بالكسر والتشديد: وقته وأوانه. (ع).

أصل بنائه، فإذا وهن تداعى وتساقت قوته؛ ولأنه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن، ووحده؛ لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية، وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن، ولو جمع لكان قصداً إلى معنى آخر، وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها، إدغام السين في الشين عن أبي عمرو، شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ، باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته، وهو الرأس، وأخرج الشيب مميّزاً ولم يصف الرأس: اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا؛ فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة، توسل إلى الله بما سلف له من الاستجابة، وعن بعضهم أن محتاجاً سأله وقال: أنا الذي أحسنت إليّ وقت كذا، فقال: مرحباً بمن توسل بنا إلينا، وقضى حاجته.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝٥﴾

يُرْتِنِي وَيُرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا ۝٦﴾

كان مواليه - وهم عصبته إخوته وبنو عمه - شرار بني إسرائيل، فخافهم على الدين أن يغيروه ويبدلوه، وألاً يحسنوا الخلافة على أمته، فطلب عقباً من صلبه صالحاً يقتدي به في إحياء الدين ويرتسم مراسمه فيه ﴿مِنْ وَرَائِي﴾: بعد موتي، وقرأ ابن كثير: «من وراي»: بالقصر، وهذا الظرف لا يتعلق بخفت؛ لفساد المعنى، ولكن بمحذوف، أو بمعنى: الولاية في الموالي، أي: خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي، أو خفت الذين يلون الأمر من ورائي، وقرأ عثمان، ومحمد بن علي، وعلي بن الحسين - رضي الله عنهم -: «خفت الموالي من ورائي»، وهذا على معنيين:

أحدهما: أن يكون (ورائي) خلفي وبعدي، فيتعلق الظرف بالموالي، أي: قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين، فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه.

والثاني: أن يكون بمعنى: قدامي، فيتعلق بـ «خفت»، ويريد أنهم خفوا قدامه ودرجوا، ولم يبق منهم من به تقوى واعتضاد، ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾: تأكيد لكونه ولياً مرضياً، بكونه مضافاً إلى الله - تعالى - وصادراً من عنده، وإلا - فهب لي ولياً يرتني -: كاف، أو أراد اختراعاً منك بلا سبب؛ لأنني وامرأتي لا نصلح للولادة، ﴿يُرْتِنِي وَيُرِثُ﴾: الجزم جواب الدعاء، والرفع صفة؛ ونحوه: ﴿رِذَاءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: ٣٤] وعن ابن عباس والجحدري: «يرثني وارث آل يعقوب»: نصب على الحال، وعن الجحدري: «أويرث»: على تصغير: وارث، وقال: غليم صغير، وعن علي - رضي الله عنه - وجماعة: «وارث

من آل يعقوب»، أي: يرثني به وارث، ويسمى: التجريد في علم البيان، والمراد بالإرث: إرث الشرع والعلم؛ لأنّ الأنبياء لا توزّث المال، وقيل: يرثني الحبورة وكان حبراً، ويرث من آل يعقوب الملك، يقال: ورثته وورثت منه لغتان، وقيل: «من» للتبعيض لا للتعدية؛ لأنّ آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء، وكان زكريا - عليه السلام - من نسل يعقوب بن إسحاق، وقيل: هو يعقوب بن ماتان أخو زكريا، وقيل: يعقوب هذا وعمران أبو مريم أخوان من نسل سليمان بن داود.

﴿يَلْزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَكَ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾

﴿سَمِيًّا﴾: لم يسم أحد بيحيى قبله، وهذا شاهد على أنّ الأسامي السنع جديرة بالأثرة، وإياها كانت العرب تنتحي في التسمية؛ لكونها أنه وأنوه وأنزه عن النبز، حتى قال القائل في مدح قوم [من الكامل]:

سُنْعُ الْأَسَامِي مُسْبِلِي أُزْرٍ حُمْرٍ تَمَسُّ الْأَرْضَ بِالْهُذْبِ / ٢ / ٢٢<sup>(١)</sup>

وقال رؤبة للنسابة البكري - وقد سأله عن نسبه - : أنا ابن العجاج، فقال: قصرت وعرفت، وقيل: مثلاً وشبيها عن مجاهد؛ كقوله ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَمْ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]؛ وإنما قيل للمثل: «سَمِيٌّ»؛ لأنّ كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير، فكل واحد منهما سمّي لصاحبه؛ ونحو: «يحيى» في أسمائهم: «يعمر، ويعيش» إن كانت التسمية عربية، وقد سموا بيموت - أيضاً - وهو يموت بن المزرع، قالوا: لم يكن له مثل في أنه لم يعص ولم يهيم بمعصية قط، وأنه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر، وأنه كان حصوراً.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي عُقْلٌ لِي عَلَّمْتُ وَأَكَانَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ

عَتِيًّا ﴿٨﴾﴾

أي: كانت على صفة العقر: حين أنا شاب وكهل، فما رزقت الولد لاختلال أحد السبيين، أفحين اختل السبيان جميعاً أرزقه؟

(١) يقال سنح الرجل كظرف، فهو سنح أي جميل، وأسنع، والمرأة سنعاء، وسنع جمع أسنع: أي أسماؤهم حسنة، فهي أنه وأنوه وأنزه عن النبز، والحمرة: صفة الأزرق، وتمس: صفة أخرى لها. وهذب الشيء: طرفه، والمناسب للمعنى أن المراد به الجمع، ويمكن أن يكون ضمنه مفرداً كقفل، وجمعا كفلك. ويجوز أنه اسم جمع، ولذلك جاء في واحده هذبة، ومس الأرض بالأطراف: كناية عن طولها، بل عن غناها وثمرتهم اللازم له ذلك.

فإن قلت: لم طلب أولاً وهو وامرأته على صفة العتي والعقر<sup>(١)</sup>، فلما أسعف بطلبته استبعد واستعجب؟

قلت: ليجاب بما أجيب به، فيزداد المؤمنون إيقاناً ويرتدع المبطلون، وإلا فمعتقد زكريا أولاً وآخرأ كان على منهاج واحد: في أن الله غني عن الأسباب، أي: بلغت عتياً، وهو: اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل<sup>(٢)</sup>، يقال: عتا العود وعسا من أجل الكبر والظعن في السن العالية، أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتياً، وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين، وكذلك صلياً، وابن مسعود بفتحهما<sup>(٣)</sup>، وقرأ أبي ومجاهد: «عسيا»<sup>(٤)</sup>.

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾

﴿كَذَلِكَ﴾: الكاف رفع، أي: الأمر كذلك تصديق له، ثم ابتداء ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾: أو نصب بقال، وذلك إشارة إلى مبهم يفسره ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾؛ ونحوه: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦] وقرأ الحسن: «وهو علي هين»، ولا يخرج هذا إلا على الوجه الأول، أي: الأمر كما قلت، وهو على ذلك يهون علي. ووجه آخر: وهو أن يشار بذلك إلى ما تقدم من وعد الله، لا إلى قول زكريا، و«قال»: محذوف في كلتا القراءتين، أي: قال هو علي هين، قال وهو علي هين؛ وإن شئت لم تنوه؛ لأن الله هو المخاطب، والمعنى: أنه قال ذلك ووعدته، وقوله الحق: ﴿شَيْئًا﴾؛ لأن المعدوم ليس بشيء، أو شيئاً يعتد به<sup>(٥)</sup>؛ كقولهم: عجبت: من لا شيء، وقوله [من البسيط]:

(١) قال محمود: «إن قلت لم طلب أولاً وهو وامرأته على صفة العتي... إلخ» قال أحمد: وفيما أجب به نظر؛ لأنه التزم أن زكريا استبعد ما وعده الله عز وجل بوقوعه، ولا يجوز للنبي النطق بما لا يسوغ، لمثل هذه الفائدة التي عينها الزمخشري ويمكن حصولها بدونه، فالظاهر في الجواب - والله أعلم - أن طلبه زكريا إنما كانت ولدا من حيث الجملة، وبحسب ذلك أجيب، وليس في الإجابة ما يدل على أنه يولد له وهو هرم، ولا أنه من زوجته وهي عاقر، فاحتمل عنده أن يكون الموعود وهما بهذه الحالة، واحتمل أن تعاد لهما قوتها وشبابهما، كما فعل الله ذلك لغيرهما. أو أن يكون الولد من غير زوجته العاقر، فاستبعد الولد منهما وهما بحالهما، فاستخير أيكون وهما كذلك، فقيل: كذلك، أي: يكون الولد وأنتما كذلك، فقد انصرف الأبعاد إلى عين الموعود فزال الإشكال. والله أعلم.

(٢) قوله «كالعود القاحل» أي اليبس، كذا في الصحاح. (ع)

(٣) قوله «بفتحهما» لعله بفتحها. (ع)

(٤) قوله «عسياً» في الصحاح: عسى الشيخ يعسو عسياً: ولي وكبر، مثل عتا. (ع)

(٥) قال محمود: «إنما قيل ذلك لأن المعدوم ليس بشيء أو شيئاً يعتد به... إلخ» قال أحمد: قسر أولاً على ظاهر النفي الصرف وهو الحق، لأن المعدوم ليس شيئاً قطعاً، خلافاً للمعتزلة في قولهم: =

إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلًا<sup>(١)</sup> . . . . .

وقرأ الأعمش والكسائي وابن وثاب: «خلقناك».

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾<sup>(١١)</sup>

أي: اجعل لي علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به، قال: علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه، وأنت سليم الجوارح سوى الخلق، ما بك خرس ولا بكلم، دل ذكر الليالي هنا، والأيام في آل عمران، على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن. ﴿فَنَجَّ عَلَيَّ

قَوْمِيهِ مِنَ الْخَرَابِ فَأُوْحِيَ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾<sup>(١٢)</sup>

أوحى: أشار عن مجاهد؛ ويشهد له: ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ [آل عمران: ٤١]، وعن ابن عباس: كتب لهم على الأرض، ﴿سَبِّحُوا﴾: صلوا، أو على الظاهر، وأن: هي المفسرة.

﴿يَنْبَغِي خُذِ التَّوْرَةَ بحدٍ وَأَسْتَظْهِرِ بِالتَّوْفِيقِ وَالتَّأْيِيدِ﴾<sup>(١٣)</sup> : الْحِكْمَةَ؛ وَمِنْهُ [مَنْ

الْبَسِيطَ]:

= إن المعدوم الممكن شيء. ومن ثم كافح الزمخشري عن البقاء على التفسير الأول إلى الثاني بوجه من التأويل يلائم معتقد المعتزلة. فجعل المنفي الشبثية المعتد بها، وإن كانت الشبثية المطلقة ثابتة عنده للمعدوم، والحق بقاء الظاهر في نصابه.

(١) وضاعت الأرض حتى كان هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً

يقول: وضاعت الأرض على أعدائنا؛ لأن كل مسلك يريدونه يظنون أحداً منا فيه فيرجعون، فاستعير الضيق الحسي لذلك على طريق التصريح، حتى كان الهارب منهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً منا، فيرجع خوفاً، والشيء هو الموجود وغيره هو المعدوم، ولكن استعير للشيء الحقيقير النافه لعدم الاعتداد بكل على طريق التصريح، وذلك ليصح وقوع الرؤية عليه.

(٢) واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام سراع وارد الشمد

قالت: ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه فقد

فحبسوه فألفوه كما وجدت سناً وستين لم تنقص ولم تزد

للنابغة واسمه زياد، يخاطب النعمان بن المنذر، والفتاة: زرقاء اليمامة التي يضرب بها المثل في حدة البصر، نظرت إلى حمام مسرع إلى الماء فقالت: ليت الحمام لي. إلى حمامتي. ونصفه قديه. ثم الحمام ميه. فوقع في شبكة صياد، فوجدوه سناً وستين حمامة، ونصفه ثلاثة وثلاثون، فإذا ضم الكل إلى حمامتها صار مائة، والحمام: كل ذي طوق من الطيور. وسراع: جمع سريع، وصفه به؛ لأنه جمع في المعنى، وبوارد لأنه مفرد في اللفظ: ويروي «شارع» بالشين المشالة جمع شارع. والشمد: الماء القليل. وروي الحمام ونصفه بالرفع. على إهمال ليتما. وبالنصب على إعمالها؛ لأن «ما» زائدة لا كافة، وإلا وجب الإهمال. وروي «أو نصفه» ف «أو» بمعنى الواو، =

يقال: حكم حكماً كحكم، وهو الفهم للتوراة والفقہ في الدين عن ابن عباس، وقيل: دعاه الصبيان إلى اللعب وهو صبي، فقال: ما للعب خلقنا، عن الضحاك، وعن معمر: العقل، وقيل: النبوة؛ لأن الله أحكم عقله في صباه وأوحى إليه.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَرَكُودًا ۗ وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾

﴿وَحَنَانًا﴾: رحمة لأبويه وغيرهما، وتعطفاً وشفقة؛ أنشد سيبويه [من الطويل]:

وَقَالَتْ: حَنَانٌ مَا أَتَى بِكَ هَهُنَا      أَدُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَارِفٌ؟<sup>(٢)</sup>

والكلام على تقدير مضاف؛ لأنها تمت أن يكون هذا الحمام ومقدار نصفه لها. وإلى حمامتنا: متعلق بمحذوف، أي: منضمًا إليها. وقد: اسم بمعنى حسب، أضيفت إلى ياء المتكلم بغير نون الوقاية، كما يقال: حسبي؛ ويحتمل أن الياء حرف إطلاق، فلا إضافة ولكنها متعينة في كلام زرقاء، والهاء فيه للسكت، وهو يرجح الإضافة في كلام النابغة، والفاء فيه زائدة لتحسين اللفظ كفاء فقط، وكلاهما بمعنى انتة، وكأنها فاء الجواب، أي: إذا بلغت هذا الحد فانتة كما أناده السعد في مطوله، وحسوه ينبغي تشديده ليسلم الشعر من الخبل، وهو نوع من الزحاف يقبح دخوله هنا. ويروى «حسوه» بتقديم السين على الباء.

ينظر: ديوانه ٢٣/ الكتاب ١٦٨/١، شرح أبيات سيبويه ٣٣/١، الحيوان ٢٢١/٣، الدرر ١/ ٢١٧، ٢٠٦/٢، لسان العرب (حكم)، (حمم)، أدب الكاتب ٢٥، شرح التصريح ٢٢٥/١، البحر المحيط ٣٣٠/٤، الدر المصون ٢٩٢/٣.

(١) وأحدث عهد من أمينة نظرة      على جانب العلياء إذ أنا واقف

فقال حنان: ما أتى بك هاهنا      أذو نسب أم أنت بالحي عارف؟

لمنذر بن درهم الكلبي، يقول: وأقرب عهد: أي لقاء ورؤية لأمينة محبوبتي تصغير أمينة، هو نظرة مني لها بجانب تلك البقعة، إذ أنا واقف هناك: أي حين وقوفي بها. وفيه إشعار بأنه كان واقفاً يترقب رؤيتها، فلما رآته هي قالت له: حنان أي: أمري حنان ورحمة لك، وهو من المواضع التي يجب فيها حذف المبتدأ؛ لنيابة الخبر عن الفعل؛ لأنه مصدر محول عن النصب. وقولها «ما أتى بك هاهنا» استفهام تعجبي. أذو نسب: أي أنت ذو نسب أم أنت عارف بهذا الحي؟ ويجوز أن «أذو نسب» بدل من ما الاستفهامية: أي الذي حملك على المجيء هنا أو الذي ذلك عليه صاحب قرابة من الحي أي معرفتك به؟ ويجوز أن الاستفهام حقيقي حكته على لسان غيرها. لتلقته الجواب بقولها: أذو نسب... إلخ، مع معرفتها سبب مجيئه وهو حبها، ربما يسأله أحد من أهلها فيجيبه بأحد هذين الجوابين.

ينظر البيت في خزنة الأدب ١١٢/٢؛ وشرح أبيات سيبويه ٢٣٥/١، وبلا نسبة في أمالي الزجاجي ص ١٣١، وأوضح المسالك ٢١٧/١، والدرر اللوامع ٦٦/٣، وشرح الأشموني ١٠٦/١، وشرح التصريح ١٧٧/١، وشرح عمدة الحفاظ ص ١٩٠، وشرح المفصل ١١٨/١، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٥٥، والكتاب ٣٢٠/١، ٣٤٩، ولسان العرب (حنن)، والمقاصد النحوية ٥٣٩/١، والمقتضب ٢٢٥/٣، وهمع الهوامع ١٨٩/١.

وقيل: حنانا من الله عليه، وحنّ في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة، وقيل لله «حنان»، كما قيل: «رحيم» على سبيل الاستعارة، والزكاة: الطهارة، وقيل: الصدقة أي: يتعطف على الناس ويتصدق عليهم.

﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (١٥)

سلم الله عليه في هذه الأحوال، قال ابن عيينة: إنها أوحش المواطن.

﴿وَأَذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (١٦) ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (١٧)

﴿إِذْ﴾: بدل من ﴿مَرْيَمَ﴾: بدل الاشتمال؛ لأن الأحيان مشتملة على ما فيها، وفي أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا؛ لوقوع هذه القصة العجيبة فيه، والانتباز: الاعتزال والانفراد، تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس، أو من دارها معتزلة عن الناس، وقيل: قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجة بحائض أو بشيء يسترها، وكان موضعها المسجد، فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها، فإذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينا هي في مغتسلها، أتاها الملك في صورة آدمي شاب أمرد، وضيء الوجه، جعد الشعر، سوي الخلق، لم ينتقص من الصورة آدمية شيئاً، أو حسن الصورة مستوي الخلق؛ وإنما مثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ٢/٢ ب ولو بدا لها في الصورة الملكية، لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه، ودلّ على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن، وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبراً لعفتها، وقيل: كانت في منزل زوج أختها زكريا، ولها محراب على حدة تسكنه، وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها الباب، فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها، فانفجر السقف لها، فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فاتاها الملك، وقيل: قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس، وقيل: إن النصراني اتخذت المشرق قبلة لانتباز مريم مكاناً شرفياً، الروح: جبريل؛ لأن الدين يحيا به وبوحيه، أو سماه الله روحه: على المجاز؛ محبة له وتقريباً، كما تقول لحبيبك: أنت روحي، وقرأ أبو حيوه: «روحنا»: بالفتح؛ لأنه سبب لما في روح العباد، وإصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (١٨) ﴿رُوحٌ رَزَقًا﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٨٩] أو؛ لأنه من المقربين، وهم: الموعودون بالروح، أي: مقربنا وذا روحنا.

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (١٨)

أرادت إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به، فإني عائذة به منك، كقوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ حَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٦].

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (١٩)

أي: إنما أنا رسول من استعدت به، ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾: لأكون سبباً في هبة الغلام بالنفخ في الدرع<sup>(١)</sup>، وفي بعض المصاحف: إنما أنا رسول ربك أمرني أن أهب لك، أو هي حكاية لقول الله تعالى.

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (٢٠) ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَاتَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ (٢١)

جعل المسّ عبارة عن النكاح الحلال؛ لأنه كناية عنه؛ كقوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسْرُوهَا﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣]، والزنا ليس كذلك؛ إنما يقال فيه: فَجَرَ بها وخبث بها وما أشبه ذلك، وليس بقمم أن تراعى فيه الكنايات والآداب، والبغْيُ: الفاجرة التي تبغي الرجال، وهي فعول عند المبرد «بغوي»، فأدغمت الواو في الياء، وقال ابن جني في كتاب التمام: هي فعيل، ولو كانت فعولاً لقليل: «بغو»، كما قيل: فلان نهو عن المنكر، ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً﴾: تعليل معلله محذوف، أي: ولنجلعه آية للناس فعلنا ذلك، أو هو معطوف على تعليل مضمّر، أي: لنبين به قدرتنا ولنجلعه آية؛ ونحوه: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الجاثية: ٢٢]، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ﴾ [يوسف: ٥٦]، ﴿مَّقْضِيًّا﴾: مقدراً مسطوراً في اللوح لا بد لك من جريه عليك، أو كان أمراً حقيقاً بأن يكون ويقضى؛ لكونه آية ورحمة، والمراد بالآية: العبرة والبرهان على قدرة الله، وبالرحمة: الشرائع والألطف، وما كان سبباً في قوة الاعتقاد والتوصل إلى الطاعة والعمل الصالح، فهو جدير بالتكوين.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ، مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (٢٢)

عن ابن عباس: فاطمأنت إلى قوله، فدنا منها، فنفخ في جيب درعها، فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت، وقيل: كانت مدة الحمل ستة أشهر، وعن عطاء وأبي العالية والضحاك: سبعة أشهر، وقيل: ثمانية، ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى، وقيل: ثلاث ساعات، وقيل: حملته في ساعة، وصور في ساعة، ووضعته في ساعة، حين زالت

(١) قوله «في الدرع» في الصحاح «درع المرأة قميصها». (ع)

الشمس من يومها، وعن ابن عباس: كانت مدة الحمل ساعة واحدة، كما حملته نبدته، وقيل: حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة، وقيل: بنت عشر، وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل، وقالوا: ما من مولود إلا يستهلّ غيره<sup>(١)</sup>، ﴿فَأْتَبَدَّتْ بِهِ﴾ أي: اعتزلت وهو في بطنها؛ كقوله [من الوافر]:

تَدُوسُ بِنَا الْجَمَاجِمَ وَالشَّرِيبَا<sup>(٢)</sup> . . . . .

أي: تدوس الجماجم ونحن على ظهورها؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ بِالذَّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، أي: تبتت ودهنها فيها: الجار والمجرور في موضع الحال، ﴿فَصَيَّأَ﴾: بعيداً من أهلها وراء الجبل، وقيل: أقصى الدار، وقيل: كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف، فلما قيل: حملت من الزنا، خاف عليها قتل الملك، فهرب بها، فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بأن يقتلها، فأثاه جبريل فقال: إنه من روح القدس فلا تقتلها، فتركها.

﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَنَسِيًا﴾<sup>(٣)</sup>

﴿فَأَجَاءَهَا﴾: أ جاء: منقول من جاء، إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى: الإلجاء، ألا تراك تقول: جئت المكان وأجاءني زيد، كما تقول: بلغت وأبلغني؛ ونظيره: «أتى»؛ حيث لم يستعمل إلا في الإعطاء، ولم تقل: أتيت المكان وآتانيه فلان، قرأ ابن كثير في رواية: ﴿الْمَخَاضُ﴾: بالكسر، يقال: مخضت الحامل مخاضاً ومخاضاً، وهو تمخض الولد في بطنها<sup>(٣)</sup>.

طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة، وكان الوقت شتاء، والتعريف لا يخلو: إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق، كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالماً عند الناس، فإذا قيل: جذع ٢/٣ النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل، وإما أن يكون تعريف الجنس، أي: جذع هذه الشجرة خاصة، كأن الله تعالى إنما أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو حرسة النفساء الموافقة لها، ولأن النخلة أقل شيء صبراً على البرد، وثمارها إنما هي من جمارها، فلموافقته لها مع جمع الآيات فيها اختارها لها وألجأها إليها، قرئ: ﴿مت﴾: بالضم والكسر، يقال: مات يموت،

- (١) قوله «ما من مولود إلا يستهلّ غيره» في الصحاح «استهل الصبي» أي صاح عند الولادة. (ع)  
 (٢) تقدم شرح هذا الشاهد عند تفسير آية ٥٠ من سورة البقرة فراجع إن شئت اهـ .  
 (٣) قوله «وهو تمخض الولد في بطنها» في الصحاح «تمخض اللبن واستمخض» أي تحرك في الممخضة، وكذلك الولد إذا تحرك في بطن الحامل. (ع)

ومات يمات، النسي: ما من حقه أن يطرح وينسى، كخرقة الطامث ونحوها، كالذبح: اسم ما من شأنه أن يذبح في قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَنبِ عَظِيمٍ﴾ [الصفوات: ١٠٧]، وعن يونس: العرب إذا ارتحلوا عن الدار قالوا: انظروا أنساءكم، أي: الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ<sup>(١)</sup>، تمت لو كانت شيئاً تافهاً لا يؤبه له، من شأنه وحقه أن ينسى في العادة، وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه؛ وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشور<sup>(٢)</sup> من الناس على حكم العادة البشرية، لا كراهة لحكم الله، أو لشدة التكليف عليها إذا بهتوها<sup>(٣)</sup>، وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به، من اختصاص الله إياها بغاية الإجلال والإكرام؛ لأنه مقام دحض قلما تثبت عليه الأقدام: أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم، ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيباً يعاب به ويعنف بسببه، أو لخوفها على الناس أن يعصوا الله بسببها، وقرأ ابن وثاب والأعمش وحمزة وحفص: (نسياً): بالفتح، قال الفراء: هما لغتان كالوتر والوتر، والجسر والجسر، ويجوز أن يكون مسمى بالمصدر كالحمل، وقرأ محمد بن كعب القرظي: (نسا): بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء، ينسؤه أهله لقلته ونزارته، وقرأ الأعمش: (منسيا): بالكسر على الاتباع، كالمغيرة والمنخر.

﴿فَنَادَيْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾

﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾: هو جبريل - عليه السلام - قيل: كان يقبل الولد كالمقابلة، وقيل: هو عيسى، وهي قراءة عاصم وأبي عمرو، وقيل: (تحتها): أسفل من مكانها؛ كقوله: ﴿تَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [طه: ٧٦] وقيل: كان أسفل منها تحت الأكمة، فصاح بها: ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾، وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص: (من تحتها)، وفي ناداها ضمير الملك أو عيسى، وعن قتادة: الضمير في تحتها للنخلة، وقرأ زرّ وعلقمة: «فخاطبها من تحتها».

سئل النبي - ﷺ - عن السري، فقال: «هُوَ الْجَدُولُ» (٩١٨)؛ قال ليبد [من الكامل]:

٩١٨ - أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (ص ١٤٢)، وابن عدي في «الكامل» (٢٣٩٨/٦) من طريق معاوية بن يحيى الصدفي عن أبي سنان سعيد بن سنان الشيباني عن أبي إسحاق عن البراء بن

(١) قوله «الشظاظ» في الصحاح «الشظاظ» العود الذي يدخل في عروة الجوالق. وفيه «الجوالق» وعاء. (ع)

(٢) قوله «من فرط الحياء، والتشور من الناس» خوف إظهار العورة. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله «إذا بهتوها وهي عارفة... إلخ» اتهموها بما ليس فيها. وقرفت: اتهمت. (ع)

فَتَوَسَّطًا عُرْضَ السَّرِيِّ فَصَدَّعَا مَسْجُورَةً مُتَجَاوِرًا قَلَامُهَا<sup>(١)</sup>

= عازب مرفوعاً.

وقال الطبراني: لم يرفعه عن أبي إسحاق إلا أبو سنان. وأعله ابن عدي بمعاقبة بن يحيى الصدفي، ونقل تضعيفه عن النسائي، وابن المديني، وابن معين.

وقد خالف شعبة أبا سنان في هذا الحديث فرواه عن أبي إسحاق عن البراء موقوفاً. أخرجه الحاكم (٣٧٣/٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وعلقه البخاري في صحيحه (١٤٧/٧) فقال: وقال وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء موقوفاً.

وأخرجه ابن مردويه والطبري من طريق إسرائيل به موقوفاً. وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦/٢ - ٧) من طريق الثوري عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب موقوفاً.

وللحديث شاهد من حديث ابن عمر.

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٤٦/١٢) رقم (١٣٣٠٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/٣٤٦)؛ كلاهما من طريق يحيى بن عبد الله البجلي ثنا أيوب بن نهيك عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ: إن السري الذي قال الله عز وجل ﴿قَدْ جَعَلْنَا لَكَ سَرِيًّا﴾: نهر أخرجه الله لتشرب منه.

وقال أبو نعيم: غريب من حديث عكرمة لم يروه عنه إلا أيوب بن نهيك ولا عنه فيما أعلم إلا يحيى اه وقال الزيلعي في تخريج «الكشاف» (٣٢٢/٢): وهو حديث غريب وأيوب بن نهيك هذا هو الحلبي. قال أبو حاتم: ضعيف، وقال أبو زرعة: منكر الحديث اه والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥٨/٧)، وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وفيه يحيى بن عبد الله البجلي وهو ضعيف.

قال الحافظ: أخرجه الطبراني في الصغير، وابن عدي من رواية أبي سنان سعيد بن سنان عن أبي إسحاق عن البراء عن النبي - ﷺ - في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلْنَا لَكَ سَرِيًّا﴾، قال: السري النهر. قال الطبراني: لم يرفعه عن أبي إسحاق إلا أبو سنان رواه عنه معاوية بن يحيى وهو ضعيف، وأخرجه عبد الرزاق عن الثوري عن أبي إسحاق عن البراء. موقوفاً، وكذا ذكره البخاري تعليقاً عن وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق. ورواه ابن مردويه من طريق آدم عن إسرائيل كذلك. وأخرجه الحاكم من وجه آخر عن أبي إسحاق موقوفاً، وفي الباب عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «إن السري الذي قال الله تعالى لمريم: نهر أخرجه الله لتشرب منه، أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية في ترجمة عكرمة عن ابن عمر. ورواية عن أيوب بن نهيك. ضعفه أبو حاتم وأبو زرعة. انتهى.

(١)

فمضى وقدمها وكانت عادة منه إذا هي عردت أقدامها

فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاوزاً قلامها

للبيد من معلقته، يصف حماراً وحشياً بأنه مضى خلف أنانة نحو الماء وقدمها أمامه. وأقدامها: اسم كان، والحقه التاء لاكتساب الأقدام التانيث من الضمير المضاف إليه. وقيل: لأنه بمعنى =

وقيل: هو من السرو<sup>(١)</sup>، والمراد: عيسى، وعن الحسن: كان والله عبداً سرّياً.

فإن قلت: ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب؟

قلت: لم تقع التسلية بهما من حيث أنهما طعام وشراب؛ ولكن من حيث أنهما معجزتان تريان الناس أنها من أهل العصمة والبعد من الريبة، وأن مثلها مما قرفوها به بمعزل، وأن لها أموراً إلهية خارجة عن العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا، حتى يتبين لهم أن ولادها من غير فحل ليس ببدع من شأنها.

﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ سُنُقَظَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٧٥﴾ فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَقَرِي عَيْنًا فِيمَا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنَأْكُلَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٧٦﴾﴾

﴿سُنُقَظَ﴾: فيه تسع قراءات: تساقط: بإدغام التاء، وتساقط: بإظهار التاءين، وتساقط: بطرح الثانية، ويساقط: بالياء وإدغام التاء، وتساقط، وتسقط، ويسقط، وتسقط، ويسقط: التاء للنخلة، والياء للجدع، ورطباً: تمييز، أو مفعول على حسب القراءة، وعن المبرد: جواز انتصابه بهزي وليس بذلك، والباء في: (بجدع النخلة): صلة للتأكيد؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، أو: على معنى: افعلي الهز به؛ كقوله [من الطويل]: يَجْرُخُ فِي عَرَاقِبِهَا نَضْلِي<sup>(٢)</sup>

قالوا: التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت، وكذلك التحنيك، وقالوا: كان من العحوة، وقيل: ما للنفساء خير من الرطب، ولا للمريض خير من العسل، وقيل: إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب، عن طلحة بن سليمان: (جنيًا): بكسر الجيم للإتباع، أي: جمعنا لك في السري والرطب فائدتين، إحداهما: الأكل والشرب، والثانية: سلوة الصدر؛ لكونهما معجزتين، وهو معنى قوله ﴿فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَقَرِي عَيْنًا﴾ أي: وطببي

= التقديم التي هي مصدر قدمها المضاعف كالتقديم. وعادة خبر كان «إذا هي عردت» بالتضعيف أي: تأخرت وجبت، «فتوسطا» أي: الحمار والأتان، «عرض السري» أي: ناحية النهر الصغير وجانبه، «فصدعا» أي: شقاً عيناً مسجورة مملوءة، وكان المقام للإضمار، فأظهر ليتأتى الوصف. أو للتجربة، أو العين من النهر، وليست هي هو وهذا أوجه. والقلام - كرمان -: القاطلي، وقيل مطلق النبات، وتجاوزته: كناية عن كثرت.

ينظر البيت في ديوانه ص ٣٠٧، ولسان العرب (سجر)، (عرض)، (صدع)، (قلم)، وتهذيب اللغة ١٨١/٩، وجمهرة اللغة ص ٧٤٧، ٩٧٤، وتاج العروس (عرض)، (صدع)، وكتاب العين ١/٢٧٦، ومقاييس اللغة ٤/٢٧٥، ومجمل اللغة ٣/٤٧٠، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٤٥٧.

(١) قوله «وقيل هو من السرو» في الصحاح «السرو» سخاء في مروءة. (ع)

(٢) تقدم شرح هذا الشاهد.

نفساً ولا تغتمي وارفضي عنك ما أحزنك وأهمك، وقرئ: (وقرئ) بالكسر لغة نجد، (فإما ترثن): بالهمز: ابن الرومي، عن أبي عمرو: وهذا من لغة من يقول: لبأت بالحج، وحلات السويق<sup>(١)</sup>، وذلك لتآخ بين الهمز وحرف اللين في الإبدال، ﴿صَوْمًا﴾: صمتاً، وفي مصحف عبد الله: «صمتاً»، وعن أنس بن مالك مثله، وقيل: «صياماً»، إلا أنهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم، وقد نهى رسول الله - ﷺ - عن صوم الصمت (٩١٩)؛ لأنه نسخ في أمته، أمرها الله بأن تنذر الصوم؛ لثلاث تشرع مع البشر المنهمين ٣/٢ ب لها في الكلام لمعنيين:

أحدهما: أن عيسى - صلوات الله عليه - يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها.

والثاني: كراهة مجادلة السفهاء ومثاقلتهم، وفيه أن السكوت عن السفه واجب، ومن أذل الناس: سفهه لم يجد مسافها، قيل: أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالإشارة، وقيل: سوغ لها ذلك بالنطق، ﴿إِنِّي سَيِّئٌ﴾ أي: أكلم الملائكة دون الإنس.

﴿فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَنْمِرِمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ ﴿٧٧﴾ يَتَأَخَّتْ هَرُونَ مَا كَانَ أُولَئِكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ يَغِيًّا﴾ ﴿٧٨﴾

الفرى: البديع، وهو من فرى الجلد، ﴿يَتَأَخَّتْ هَرُونَ﴾: كان أخاها من أبيها من أمثل بني إسرائيل، وقيل: هو أخو موسى - صلوات الله عليهما - وعن النبي - ﷺ -: «إِنَّمَا عَنَّا هَارُونَ النَّبِيُّ» (٩٢٠)، وكانت من أعقابه في طبقة الإخوة، بينها وبينه ألف سنة وأكثر،

٩١٩ - ورد من حديث علي بن أبي طالب مرفوعاً بلفظ «لا يتم بعد احتلام ولا صمات يوم إلى ليل». وقد تقدم تخريجه في سورة النساء.

ويراجع شواهده هناك.

قال الحافظ: لم أره هكذا، وأخرج عبد الرزاق من حديث جابر بلفظ: «لا صمت يوم إلى الليل»، وفيه حزام بن عثمان وهو ضعيف، ولأبي داود من حديث علي مثله. وقد تقدم في تفسير النساء. انتهى.

٩٢٠ - قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣٢٣/٢): غريب وذكره الثعلبي هكذا من غير سند.

قال الحافظ: لم أجده هكذا إلا عند الثعلبي بغير سند، ورواه الطبري عن السدي. وقوله ليس بصحيح؛ فإن عند مسلم والنسائي والترمذي عن المغيرة بن شعبة. قال: «بعثني النبي - ﷺ - إلى نجران، فقالوا لي: رأيتم شيئا يقرأونه: ﴿يَتَأَخَّتْ هَرُونَ﴾، وبين موسى وعيسى ما شاء الله من السنين، فلم أدر ما أجيبهم فقال لي النبي - ﷺ -: «هلا أخبرتهم أنهم كان يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين من قبلهم، وروى الطبري من طريق ابن سيرين، «نبئت أن كعباً قال: إن قوله تعالى: =

(١) قوله «يقول لبأت بالحج وحلات السويق» والكثير: لببت بالحج، وحليت السويق، أي: جعلته حلوا. (ع)

وعن السدي: كانت من أولاده؛ وإنما قيل: يا أخت هارون، كما يقال: يا أخت همدان، أي يا واحداً منهم، وقيل: رجل صالح أو طالح في زمانها، شبهوها به، أي: كنت عندنا مثله في الصلاح، أو شتموها به، ولم ترد إخوة النسب، ذكر أن هارون الصالح تبع جنازته أربعون ألفاً، كلهم يسمى هارون؛ تبركاً به وباسمه، فقالوا: كنا نشبهك بهارون هذا، وقرأ عمر بن لجاه التيمي: (ما كان أبك امرؤ سوء)، وقيل: احتمل يوسف النجار مريم وابنها إلى غار، فلبثوا فيه أربعين يوماً حتى تعلت من نفاسها<sup>(١)</sup>، ثم جاءت تحمله فكلما عيسى في الطريق، فقال: يا أمه، أبشري؛ فإني عبد الله ومسيحه، فلما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك، وقيل: هموا برجمها حتى تكلم عيسى - عليه السلام - فتركوها.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهَدِ صَبِيًّا﴾ (٢٤)

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي: هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه، وقيل: كان المستنطق لعيسى زكريا - عليه السلام - وعن السدي: لما أشارت إليه، غضبوا وقالوا: لسخريتها بنا أشد علينا من زناها، وروي أنه كان يرضع، فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه، واتكأ على يساره وأشار بسبابته، وقيل: كلمهم بذلك، ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغاً يتكلم فيه الصبيان، و﴿كَانَ﴾: لإيقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده، وهو هنا لقريبه خاصة، والدال عليه مبنى الكلام، وأنه مسوق للتعجب، ووجه آخر: أن يكون (نكلم): حكاية حال ماضية، أي: كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس صبياً في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (٣١) وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٣٣)

أنطقه الله أولاً بأنه عبد الله ردًا لقول النصارى، و«الكتاب»: هو الإنجيل، واختلفوا في نبوته، فقيل: أعطيتها في طفولته: أكمل الله عقله، واستنبأه طفلاً نظراً في ظاهر الآية،

﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ﴾ ليس بهارون أخي موسى، فقالت له عائشة: «كذبت». فقال لها: يا أم المؤمنين إن كان النبي - ﷺ - قال: فهو أعلم، وإلا فانا أجد بينهما ستمائة سنة». انتهى.

(١) قوله «حتى تعلت من نفاسها» في الصحاح «تعلت» أي علا في مهلة. وتعلت المرأة من نفاسها: أي سلمت، وتعلت الرجل من علته. (ع)

وقيل: معناه: إن ذلك سبق في قضائه، أو جعل الاتي لا محالة كأنه قد وجد، ﴿مَارَكَا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾: عن رسول الله - ﷺ -: «نَفَاعاً حَيْثُ كُنْتُمْ» (٩٢١)، وقيل: معلماً للخير، وقرئ: ﴿وَبَرّاً﴾: عن أبي نهيك، جعل ذاته برأ لفرط بره، أو نصبه بفعل في معنى أوصاني، وهو كلفني؛ لأن أوصاني بالصلاة وكلفنيها واحد، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ قيل: أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله؛ كقولك: جاءنا رجل، فكان من فعل الرجل كذا، والمعنى: ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إليّ، والصحيح: أن يكون هذا التعريف تعريضاً باللعنة على متهمي مريم - عليها السلام - وأعدادها من اليهود، وتحقيقه أن اللام للجنس، فإذا قال: وجنس السلام عليّ خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم؛ ونظيره قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْمُدْكَةَ﴾ [طه: ٤٧] يعني: أن العذاب على من كذب وتولى، وكان المقام مقام منكرة وعناد، فهو مثنة لنحو هذا من التعريض.

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٣٤)

قرأ عاصم وابن عامر: (قول الحق) بالنصب، وعن ابن مسعود: قال الحق، وقال الله، وعن الحسن: «قول الحق» بضم القاف، وكذلك في الأنعام: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣] والقول والقال والقول بمعنى واحد، كالرهب والرهب والرهب، وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر، أو بدل، أو خبر مبتدأ محذوف، وأما انتصابه فعلى المدح إن فسر بكلمة الله، وعلى أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة إن أريد قول الثبات والصدق؛ كقوله: هو عبد الله حقاً، والحق لا الباطل؛ وإنما قيل لعيسى: «كلمة الله»، و: «قول الحق»؛ لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها، وهي قوله: (كن) من غير واسطة أب؛ تسمية للمسبب باسم السبب، كما سمي العشب بالسماء، والشحم بالندا، ويحتمل إذا أريد بقول الحق: عيسى، أن يكون الحق اسم الله - عز وجل -، وأن يكون بمعنى: الثبات والصدق؛ ويعضده قوله: ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: أمره حق يقين وهم فيه شاكون، ﴿يَمْتَرُونَ﴾: يشكون، والمرية: الشك، أو يتمارون ٤/٢ أ: يتلاحون<sup>(١)</sup>، قالت اليهود: ساحر كذاب،

٩٢١ - أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٥/٣) من طريق شعيب بن محمد الكوفي ثنا هشيم بن بشير عن يونس عن الحسن عن أبي هريرة به.

وقال أبو نعيم: غريب من حديث يونس تفرد به هشيم وعنه شعيب. وأخرجه أيضاً ابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٣٢٤/٢)، قال الحافظ: أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة يونس بن عبيد عن الحسن عن أبي هريرة بهذا وأتم منه. وقال تفرد به هشيم عن يونس، وعنه شعيب بن محمد الكوفي، ورواه ابن مردويه من هذا الوجه. انتهى.

(١) قوله «يتلاحون» التلاحى بمعنى التنازع كما في الصحاح. وعبارة النسفي: أو يختلفون، من المراء، =

وقالت النصارى: ابن الله وثالث ثلاثة، وقرأ علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : «تمترون». على الخطاب، وعن أبي بن كعب: «قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون».

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (٣٥)

كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه، وأنه مما لا يتأتى ولا يتصور في العقول وليس بمقدور عليه؛ إذ من المحال غير المستقيم أن تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد، ثم بين إحالة ذلك بأن من إذا أراد شيئاً من الأجناس كلها أوجده بكن، كان منزهاً من شبه الحيوان الوالد، والقول ههنا مجاز، ومعناه: أن إرادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف، فشبه ذلك بأمر الأمر المطاع إذا ورد على الأمور الممثلة.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٨) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

قرأ المدنيون وأبو عمرو بفتح أن، ومعناه: ولأنه ربي وربكم فاعبدوه؛ كقوله: ﴿وَأَنَّ السَّجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، والأستار وأبو عبيد بالكسر على الابتداء، وفي حرف أبي: «إن الله»: بالكسر بغير واو، و«بأن الله»، أي: بسبب ذلك<sup>(١)</sup> فاعبدوه.

﴿فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٣٧)

﴿الْأَحْزَابُ﴾: اليهود والنصارى: عن الكلبي، وقيل: النصارى، لتحزبهم ثلاث فرق: نسورية، ويعقوبية، وملكانية، وعن الحسن: الذين تحزبوا على الأنبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس، ﴿مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة، أو من مكان الشهود فيه وهو الموقف، أو من وقت الشهود، أو من شهادة ذلك اليوم عليهم، وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألستهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الأعمال، أو من مكان الشهادة أو وقتها، وقيل: هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وأمه.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٨) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

= فقالت اليهود... إلخ. (ع)

(١) قوله: «وبأن الله أي بسبب ذلك» لعله: أي بأن الله. ويمكن أنه عطف على أن الله، ويكون في حرف أبي القراءتان. (ع)

لا يوصف الله تعالى بالتعجب، وإنما المراد أن أسماعهم وأبصارهم يومئذٍ جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صمًا وعميًا في الدنيا، وقيل: معناه: التهديد بما سيسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم، أوقع الظاهر، أعني: الظالمين موقع الضمير، إشعاراً بأن لا ظلم أشد من ظلمهم؛ حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم، والمراد بالضلال المبين: إغفال النظر والاستماع، ﴿فَعَيَى الْأَمْرُ﴾: فرغ من الحساب وتصدر الفريقان إلى الجنة والنار، وعن النبي ﷺ أنه سئل عنه، أي: عن قضاء الأمر، فقال: «جِنَّ يَذْبَحُ الْكَبِشُ وَالْفَرِيقَانِ يَنْظُرَانِ» (٩٢٢)، وإذ: بدل من يوم الحسرة، أو منصوب بالحسرة، ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾: متعلق بقوله: «في ضلال مبين»: عن الحسن،

٩٢٢ - قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣٢٥/٢): غريب بهذا اللفظ.

وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده هكذا. اهـ

وقد ورد حديث آخر في معناه عن عدد من الصحابة، وهم أبو سعيد الخدري وابن عمر وأبو هريرة وأنس.

حديث أبي سعيد:

أخرجه البخاري (٣٥٤/٩) كتاب التفسير: باب: (وأندرهم يوم الحسرة) حديث (٤٧٣٠)، ومسلم (٢١٨٨/٤ - ٢١٨٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون حديث (٤٠، ٤١/٢٨٤٩)، والترمذي (٣١٦ - ٣١٥/٥) كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة مريم حديث (٣١٥٦)، والنسائي في «تفسيره» (١٣٣٣)، وأحمد (٩/٣)، وأبو يعلى (٣٦٤/٢) رقم (١١٢٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/٣٥٠) رقم (٣٨٧)، كلهم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظ «بؤتى بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار...» الحديث.

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤٨٩/٤)، وزاد نسبه إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

حديث ابن عمر:

أخرجه البخاري (٤٢٣/١١) كتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار حديث (٦٥٤٨)، ومسلم (٤/٢١٨٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها حديث (٢٨٥٠/٤٣)، وأحمد (١١٨/٢).

حديث أبي هريرة:

أخرجه ابن ماجه (١٤٤٧/٢) كتاب الزهد باب صفة النار حديث (٤٣٢٧)، وأحمد (٢٦١/٢)، وابن حبان (٢٦١٤ - موارد)، والحاكم (٨٣/١)، كلهم من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

قلت: محمد بن عمرو لم يحتج به مسلم، بل روى له متابعه، وقال البوصيري في «الزوائد»: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، وقد أخرج البخاري بعضه من هذا الوجه اهـ. والحديث ذكره

المنذري في «الترغيب» (٥٦٤/٤)، وقال: رواه ابن ماجه بإسناد جيد.

وأندرهم: اعتراض، أو هو متعلق بأندرهم، أي: وأندرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين، يحتمل أنه يميتهم ويخرب ديارهم، وأنه يفني أجسادهم ويفني الأرض ويذهب بها.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ٤٢﴾ يَتَّابِتْ إِيَّيْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ٤٣﴾ يَتَّابِتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ٤٤﴾ يَتَّابِتْ إِيَّيْ أَحَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ٤٥﴾

الصدِّيق: من أبنية المبالغة، ونظيره: الضحيك والنطيق، والمراد: فرط صدقه وكثرة ما صدَّق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله، وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسول، أي: كان مصدقاً بجميع الأنبياء وكتبهم، وكان نبياً في نفسه؛ كقوله تعالى: ﴿بَلِّغْهُ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ٣٧﴾ [الصافات: ٣٧] أو: كان بليغاً في الصدق؛ لأن ملاك أمر النبوة الصدق، ومصدق الله بآياته ومعجزاته حرِّي أن يكون كذلك، وهذه الجملة وقعت اعتراضاً بين المبدل منه وبدله، أعني: إبراهيم، و﴿إِذْ قَالَ﴾: نحو قولك: رأيت زيدا، ونعم الرجل أخوك، ويجوز أن يتعلق إذ بـ«كان» أو بـ«صديقاً نبياً»، أي: كان جامعاً لخصائص الصديقين والأنبياء، حين خاطب أباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول إياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه إياهم؛ كقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ تَبَأً إِزْهِيماً ٦٩﴾ [الشعراء: ٦٩]، وإلا فالله - عز وجل - هو ذاكره ومورده في تنزيله، التاء في ﴿يَتَّابِتْ﴾: عوض من ياء الإضافة،

وللحديث إسناد آخر.

أخرجه النسائي في «التفسير» (٣٣٧) من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة به. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤٨٩/٤)، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه. حديث أنس بن مالك:

أخرجه أبو يعلى (٢٧٨/٥) رقم (٢٨٩٨)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٩٨/١٠)، وقال: رواه أبو يعلى، والطبراني في الأوسط بنحوه والبخاري، ورجالهم رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحي وهو ثقة.

قال الحافظ: لم أجده هكذا. وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «يؤتى بالموت كهنية كبش أملح» الحديث، وفيه: وكلهم قد رآه فيذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ الآية، وأخرجه عن ابن عمر نحوه دون قراءة الآية. وفي الباب عن أبي هريرة عند ابن حبان والحاكم والنسائي. وأخرجه البخاري دون ذكر الذبح. وأخرجه أبو يعلى والبخاري من حديث أنس. وفي آخره: «فيأمن هؤلاء، ويقطع رجاء هؤلاء». انتهى.

ولا يقال: يا أبتى؛ لثلا يجمع بين العوض والمعوض منه، وقيل: يا أبتا؛ لكون الألف بدلاً من الياء، وشبه ذلك سيويه بأنيق، وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة، انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي ٤/٢ ب عسا فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة: كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق<sup>(١)</sup>، مع استعمال المجاملة، واللفظ، والرفق، واللين، والأدب الجميل، والخلق الحسن؛ منتصحاً في ذلك بنصيحة ربه - عز وعلا - . حدّث أبو هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ - : «أَوْحَى اللَّهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : إِنَّكَ خَلِيلِي، حَسَنَ خُلُقِكَ وَلَوْ مَعَ الْكُفَّارِ، تَدْخُلُ مَدَاخِلَ الْأَبْرَارِ- فَإِنَّ كَلِمَتِي سَبَقَتْ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ: أُظِلُّهُ تَحْتَ عَرْشِي، وَأُسْكِنُهُ حَظِيرَةَ الْقُدْسِ، وَأُذِنِيهِ مِنْ جَوَارِي» ٩٢٣ح، وذلك أنه طلب منه أولاً العلة في خطئه طلب منه على تماديه، موقظ لإفراطه وتناهيه؛ لأن المعبود لو كان حيّاً مميّزاً، سميعاً بصيراً، مقتدرّاً على الثواب والعقاب، نافعاً ضارّاً، إلا أنه بعض الخلق: لاستخفّ عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية، ولسجل عليه بالغى المبين والظلم العظيم، وإن كان أشرف الخلق وأعلاهم منزلة كالملائكة والنبیین؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٨٠) وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم، فلا تحق إلا لمن

٩٢٣ - أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢٤٣٢/٦)، والطبراني في «الأوسط» (٢٦١/٧) رقم (٦٥٠٢) من طريق مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي عن أبي أمية بن يعلى عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة به .  
وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن سعيد المقبري إلا أبو أمية بن يعلى تفرد به مؤمل بن عبد الرحمن ولا يروى عن رسول الله - ﷺ - إلا بهذا الإسناد اهـ .  
وأعله ابن عدي بمؤمل بن عبد الرحمن، وقال: عامة حديثه غير محفوظ .  
وضعه أيضاً الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»، فقال: وفيه مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي عن أبي أمية بن يعلى الثقفي وهما ضعيفان .  
وله طريق آخر عند الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، كما في «تخريج الكشاف» (٣٢٦/٢) للزيلعي، من طريق عمر بن أبي عمر عن أبي هريرة مرفوعاً .  
وقال الزيلعي: وهذا معضل .  
قال الحافظ: أخرجه الطبراني في الأوسط، وابن عدي، والحكيم والترمذي في «النوادر» من حديث أبي هريرة، وفيه مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي عن أبي أمية بن يعلى الثقفي وهما ضعيفان . انتهى .

(١) قوله «في أحسن اتساق وساقه أرشق» في الصحاح: «الاتساق» الانتظام، وفيه أيضاً «رجل رشيق» أي: حسن القدر لطيفه . (ع)

له غاية الإنعام: وهو الخالق الرازق، المحيي المميت، المثيب المعاقب، الذي منه أصول النعم وفروعها، فإذا وجهت إلى غيره - وتعالى علواً كبيراً أن تكون هذه الصفة لغيره - لم يكن إلا ظلماً وعتواً وغياً وكفراً وجحوداً، وخروجاً عن الصحيح النير إلى الفاسد المظلم، فما ظنك بمن وجه عبادته إلى جماد ليس به حس ولا شعور؟ فلا يسمع - يا عابده - ذكرك له وثناءك عليه، ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له، فضلاً أن يغني عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه، أو تسنح لك حاجة فيكفيكها، ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقاً به منطلقاً، فلم يسم أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معي طائفة من العلم وشيئاً منه ليس معك؛ وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف، وهب أي وإياك في مسير وعندى معرفة بالهداية دونك، فاتبعني أنجك من أن تضل وتبته، ثم ثلث بتثيظه ونهيه عما كان عليه: بأن الشيطان - الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده، وهو عدوك الذي لا يريد بك إلا كل هلاك وخزي ونكال وعدو أبوك آدم وأبناء جنسك كلهم - هو الذي ورطك في هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك، فأنت إن حققت النظر عابد الشيطان، إلا أن إبراهيم - عليه السلام - لإمعانه في الإخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنابتي الشيطان إلا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره، ولم يلتفت إلى ذكر معاداته لآدم وذريته، كأن النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على ذهنه، ثم ربح بتخويفه سوء العاقبة وبما يجره<sup>(١)</sup> ما هو فيه من التبعة والوبال، ولم يخل ذلك من حسن الأدب؛ حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له وأن العذاب لاصق به، ولكنه قال: «أخاف أن يمسك عذاب»، فذكر الخوف والمس ونكر العذاب، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب؛ وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه، وسماه الله تعالى: المشهود له<sup>(٢)</sup> بالفوز العظيم؛ حيث قال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]؛ فذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله، أكبر من العذاب نفسه وأعظم، وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله: ﴿يَتَأْتِيَ﴾؛ توسلاً إليه واستعطافاً، فد(ما) في: ﴿مَا لَا يَسْمَعُ﴾، و﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾: يجوز أن تكون موصولة وموصوفة، والمفعول في: (لا يسمع ولا يبصر): منسي غير منوي؛ كقولك: ليس به استماع ولا إبصار، ﴿شَيْئاً﴾: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون في موضع المصدر، أي: شيئاً من الغناء، ويجوز أن يقدر نحوه

(١) قوله: «وبما يجره» لعله وما يجره، فيكون عطفاً على سوء العاقبة. (ع)

(٢) قوله: «وسماه الله تعالى المشهود له» لعله «مشهود له بأن رضوانه أكبر من الثواب» فليحذر. (ع)

مع الفعلين السابقين.

والثاني: أن يكون مفعولاً به من قولهم: أغن عني وجهك، ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾: فيه تجدد العلم عنده.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَتَّبِرْهِمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرُنِي مِثْلًا ۖ﴾

لما أطلعه على سماجة صورة أمره، وهدم مذهبه بالحجج القاطعة، وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاحظات، أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد، فناده باسمه، ولم يقابل (يا أبت): بيا بني، وقدم الخبر على المبتدأ في قوله: ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَتَّبِرْهِمْ﴾؛ لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعنى، وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته، وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد، وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله ﷺ عما كان يلقي من مثل ذلك من كفار قومه، ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾: لأرمينك بلساني، يريد: الشتم والذم، ومنه (الرجيم): المرمي باللعن، أو لأقتلنك، من رجم الزاني، أو: لأطردنك رمياً بالحجارة، وأصل الرجم: الرمي بالرجام<sup>(١)</sup>، ﴿مِثْلًا﴾: زماناً طويلاً من الملاوة، أو: ملياً بالذهاب عني، والهجران قبل أن أتخنك بالضرب، حتى لا تقدر أن تبرح، يقال: فلان ملي بكذا،: إذا كان مطيقاً له مضطجعاً به.

فإن قلت: علام عطف (واهجرني) ٢/ ١٥؟

قلت: على معطوف عليه محذوف يدل عليه: (لأرجمنك) أي: فاحذرنى واهجرني؛ لأن (لأرجمنك): تهديد وتقريع.

﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا ۗ﴾ ﴿٤٧﴾ وَأَعَزَّلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۗ﴾ ﴿٤٨﴾

﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾: سلام توديع ومتاركة؛ كقوله تعالى: ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْنِيَنَّ الْجَنَّةَ الَّذِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، وقوله: ﴿وَإِذَا حَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلِّمُوا﴾ [الفرقان: ٦٣]؛ وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه، ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استماله له؛ ألا ترى أنه وعده الاستغفار.

فإن قلت: كيف جاز له أن يستغفر للكافر وأن يعده<sup>(٢)</sup> ذلك؟

- (١) قوله «وأصل الرجم الرمي بالرجام» أي الحجارة الضخام؛ كذا في الصحاح. (ع)
- (٢) قال محمود: «إن قلت: لم استغفر لأبيه وهو كافر... الخ» قال أحمد: وهذه لمظ من الاعتزال، مستطيرة من شرر قاعدة التحسين والتفبيح. والحق أن العقل لا مدخل له في أن يحكم بحكم الله تعالى قبل ورود الشرع به، ثم لم يوف الزمخشري بها؛ فإنه جعل العقل يسوغ =

قلت: قالوا: أراد اشتراط التوبة عن الكفر، كما ترد الأوامر والنواحي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الإيمان، وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلاة والزكاة، ويراد اشتراط الوضوء والنصاب، وقالوا: إنما استغفر له بقوله: ﴿وَأَعْفِرْ لِيَّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (٨٦) [الشعراء: ٨٦]؛ لأنه وعده أن يؤمن؛ واستشهدوا عليه بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، ولقائل أن يقول: إن الذي منع من الاستغفار للكافر إنما هو السمع، فأما القضية العقلية فلا تأباه، فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع، بناء على قضية العقل؛ والذي يدل على صحته قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [المنحذة: ٤]، فلو كان شرطاً للإيمان لم يكن مستنكراً ومستثنى عما وجبت فيه الأسوة، وأما: ﴿عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ﴾ فالواعد هو إبراهيم لا آزر، أي: ما قال: ﴿وَأَعْفِرْ لِيَّ﴾ إلا عن قوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ وتشهد له قراءة حماد الراوية: وعدها أباه، والله أعلم، ﴿حَفِيًّا﴾ الحفي: البليغ في البر والإلطف، حفى به وتحفى به، ﴿وَأَعْتَرَلَكُمْ﴾: أراد بالاعتزال المهاجرة إلى الشام، المراد بالدعاء: العبادة؛ لأنه منها ومن وسائلها، ومنه قوله ﷺ «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» (٩٢٤)؛ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَعْتَرَلْتُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [مريم: ٤٩]، ويجوز أن يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء، عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله: ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤]، مع التواضع لله بكلمة (عسى)، وما فيه من هضم النفس.

﴿فَلَمَّا أَعْتَرَلْتُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ (٤٩) وَوَهَبْنَا

٩٢٤ - أخرجه الترمذي (٣٧٥، ٣٧٤/٥) كتاب تفسير القرآن: باب «ومن سورة المؤمن» رقم (٣٢٤٧)، وابن ماجه (١٢٥٨/٢) كتاب الدعاء: باب «فضل الدعاء» رقم (٣٨٢٨)، وأحمد (٢٦٧/٤) - ٢٧١ - (٢٧٧ - ٢٧٦)، والطيالسي (٢٥٣/١) كتاب الأذكار والدعوات: باب «ما جاء في فضل الدعاء وأدابه» رقم (١٢٥٢)، والحاكم في «المستدرک» (٤٩١/١) كتاب الدعاء، وابن حبان (١٣٢/٨) باب «ما جاء في فضل الدعاء» رقم (٢٣٩٦).

قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد رواه شعبة وجري عن منصور عن ذر. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قال الحافظ: أخرجه أبو داود وبقية أصحاب السنن وابن حبان والحاكم من حديث النعمان بن بشير. وأخرجه أحمد وإسحاق وابن أبي شعبة وأبو يعلى والبخاري والطبراني وابن أبي حاتم والطبري من حديثه، وأخرجه ابن مردويه من حديث البراء بن عازب - رضي الله عنهما - انتهى.

الاستغفار، وجعل الشرع مانعاً منه، ولا يتصور هذا على قاعدتهم المهذمة، كما لا يتصور ورود الشرع بما يخالف العقل في الإلهيات، نعم قد يحكم الشرع بما لا يظهر العقل عندهم خلافه، وأما ما يظهر العقل خلافه فلا.

## لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا ﴿٥١﴾

ما خسر على الله أحد ترك الكفار الفسقة لوجهه، فعوضه أولاداً مؤمنين أنبياء، ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾: هي النبوة عن الحسن، وعن الكلبي: المال والولد، وتكون عامة في كل خير ديني ودنيوي أتوه، لسان الصدق: الثناء الحسن، وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية؛ قال [من البسيط]:

إِنِّي أَتَشْنِي لِسَانَ لَا أُسْرُ بِهَا . . . . . (١)

يريد الرسالة، ولسان العرب: لغتهم وكلامهم، استجاب الله دعوته: (واجعل لي لسان صدق في الآخرين)، فصيحه قدوة حتى ادعاه أهل الأديان كلهم، وقال عز وجل: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، و﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم، كما أعلى ذكره وأثنى عليه.

## ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٢﴾﴾

المخلص - بالكسر -: الذي أخلص العبادة عن الشرك والرياء، أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله، وبالفتح: الذي أخلصه الله، الرسول: الذي معه كتاب من الأنبياء، والنبي: الذي ينبي عن الله - عز وجل - وإن لم يكن معه كتاب، كيوشع.

## ﴿وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْتُهُ نَجِيًّا ﴿٥٣﴾﴾

الأيمن من اليمين، أي: من ناحيته اليمنى، أو من اليمن صفة للطور، أو للجانب، شبهه بمن قرّبه بعض العظماء للمناجاة؛ حيث كلمه بغير واسطة ملك، وعن أبي العالية:

(١) إِنِّي أَتَشْنِي لِسَانَ لَا أُسْرُ بِهِ  
فجاشت النفس لما جاء فلهم وراكب جاء من تثليث معتمر

للأعشى الباهلي، لما جاء الناعي بقتل المنتشر أخيه، عبر باللسان عن الكلام مجازاً؛ لأنه آتته. وأنت الفعل لتأويل الفاعل بالكلمة أو الرسالة، وذكر فيما بعد نظراً للظاهر، من علو بالبناء على الفتح، أي: من أعلى نجد. والسخر: مصدر سخر كتعب. وجاشت القدر: غلت وارتفع ما فيها. والتجوز بالجيشان عن حرارة القلب مشهور والقل: الفنة. وتثليث: اسم موضع ممنوع من الصرف. وراكب: عطف على «فلهم»، و«معتمر» نعت، وجاء الثاني بدل.

ينظر إصلاح المنطق ص ٢٦، والأصمعيات ص ٨٨، وأمالي المرتضى ٢/٢٠، وجمهرة اللغة ص ٩٥٠، ١٣٠٩، وخزانة الأدب ٦/٥١١، وسمط اللآلي ص ٧٥، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/٩٠، ولسان العرب (سخر)، (لسن)، والمؤتلف والمختلف ص ١٤، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١٩١/٤، ولسان العرب (علا).

قَرَبَهُ حَتَّى سَمِعَ صَرِيْفَ الْقَلَمِ الَّذِي كَتَبَتْ بِهِ التَّوْرَةَ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ (٥٣)

﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾: من أجل رحمتنا له، وترأفنا عليه: وهبنا له هارون، أو بعض رحمتنا، كما في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ [مريم: ٥٣]. و﴿أَخَاهُ﴾: على هذا الوجه بدل، و﴿هَارُونَ﴾: عطف بيان<sup>(١)</sup>: كقولك: رأيت رجلاً أخاك زيداً، وكان هارون أكبر من موسى، فوَقعت الهبة على معاضدته وموازرتة كذا عن ابن عباس، رضي الله عنه.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (٥٤) ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (٥٥)

ذكر إسماعيل - عليه السلام - بصدق الوعد وإن كان ذلك موجوداً في غيره من الأنبياء؛ تشريفاً له وإكراماً، كالتلقيب بنحو: الحليم، والأواه، والصدِّيق؛ ولأنه المشهور المتواصف من خصاله، عن ابن عباس - رضي الله عنه -: أنه وعد صاحباً له أن ينتظره في مكان، فانتظره سنة، وناهيك أنه وعد في نفسه الصبر على الذبح فوفى؛ حيث قال: ﴿سَجَدْتُ إِذْ سَأَلَ اللَّهُ مِنَ الْعَبْدِينَ﴾ [الكهف: ٩٩]، كان يبدأ بأهله في الأمر بالصالح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم؛ ولأنهم أولى من سائر الناس، ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ [طه: ١٣٢]، ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]؛ ألا ترى أنهم أحق بالتصدق عليهم، فالإحسان الديني أولى، وقيل: ﴿أَهْلِيَّ﴾: أمته كلهم من القرابة وغيرهم؛ لأن أمم النبيين في عداد أهاليهم، وفيه أن من حق الصالح ألا يألو نصحاً للأجانب فضلاً عن الأقارب ٥/٢ والمتصلين به، وأن يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في شيء من ذلك.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٥٦) ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (٥٧)

قيل: سمي إدريس؛ لكثرة دراسته كتاب الله - عز وجل - وكان اسمه أخنوخ، وهو غير صحيح؛ لأنه لو كان أفعيلاً من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية، فكان منصرفاً، فامتناعه من الصرف دليل العجمة؛ وكذلك إبليس أعجمي، وليس من الإبلاب كما يزعمون، ولا يعقوب من العقب، ولا إسرائيل بإسرايل كما زعم ابن السكيت، ومن

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: الظاهر أن «أخاه» مفعول «وهبنا» ولا ترادف «من» بعضاً، فتبدل «أخاه» منها. انتهى. الدر المصون.

لم يحقق ولم يتدرّب بالصناعة، كثرت منه أمثال هذه الهنات، ويجوز أن يكون معني ﴿إِدْرِيْسٌ﴾: في تلك اللغة قريباً من ذلك، فحسبه الراوي مشتقاً من الدرس، المكان العلي: شرف النبوة والزلفى عند الله، وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وهو أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب، وأول من خاط الثياب ولبسها، وكانوا يلبسون الجلود، وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - يرفعه إنه رفع إلى السماء الرابعة (٩٢٥)، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: إلى السماء السادسة (٩٢٦)، وعن الحسن - رضي الله عنه -: إلى الجنة لا شيء أعلى من الجنة، وعن النابغة الجعدي: أنه لما أنشد عند رسول الله ﷺ الشعر الذي آخره [من الطويل]:

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَسَنَاؤُنَا  
وَأِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا<sup>(١)</sup>

٩٢٥ - أخرجه الترمذي (٣١٦/٥) كتاب التفسير: باب ومن سورة مريم حديث (٣١٥٧) من طريق شيبان عن قتادة عن أنس.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة وهمام، وغير واحد عن قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة عن النبي - ﷺ - حديث المعراج بطوله، وهذا عندنا مختصر من ذلك. والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/٤٩٤)، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن مردويه. تنبيه: وقع في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/٣٢٨)، و«الدر المنثور» أن الترمذي صحح هذا الحديث، وفي نسختنا وقع تحسينه فقط.

قال الحافظ: أخرجه الترمذي من رواية شيبان عن قتادة عن أنس بهذا. وقال: هو عندي مختصر من حديث الإسراء الذي رواه سعيد، وهمام عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة. انتهى.

٩٢٦ - ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/٤٩٤)، وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه، وأخرجه الطبري في «تفسيره» من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

رينظر تخريج الكشاف للزيلعي (٢/٣٢٨).

قال الحافظ: أخرجه الطبري وابن مردويه من رواية عطية عنه. انتهى.

(١) ولا خير في حلم إذا لم يكن له  
ولا خير في جهل إذا لم يكن له  
بوادر تحمي صفوه أن يكذرا  
حليم إذا ما أورد الأمر أصدر  
بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا  
وإننا لنرجو فوق ذلك مظهرا

للنابغة الجعدي، أنشده أمام رسول الله ﷺ فقال: إلى أين يا أبا ليلى؟ قال: إلى الجنة بك يا رسول الله، فقال: لا يفضض الله فاك. فعمر فوق مائتي عام، وكان إذا سقطت له سن نبت بدلها. والحلم: الأناة والعقل. والبادرة: الكلمة تصدر حال الغضب. وشبه الحلم بالماء على طريق الممكنية. والصفاء والتكدير: تخييل، والمراد بالجهل: عجلة الإقدام على عظام الأمور. والإيراد جعل الشيء وارداً. والاصدار: جعله صادراً. والمراد تسبب في وجوده وإعظامه وفي تحقيره وإعدامه. ويحتمل أنه شبه الأمر المعضل بحيوان يورده صاحبه إلى الماء تارة ويرجعه أخرى، على طريق الممكنية، والإيراد والاصدار. تخييل. ويجوز أن فاعل أورد ضمير الجهل، وفاعل أصدر ضمير الحليم، أي: إذا تسبب الجهل والشجاعة في أمر خطأ أرجعه الحليم وأبطله، فلا بد من =

قال رسول الله - ﷺ -: «إِلَى أَيِّنَ يَا أَبَا لَيْلَى!» قال: إلى الجنة (٩٢٧).

٩٢٧ - أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٥١)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص ٣٤٤)، وفي «أخبار أصبهان» (١/ ٧٤) من طريق يعلى بن الأشدق عن النابغة فذكره.

ومن هذا الوجه ذكره الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٦/ ٣١١ - بتحقيقنا)، وعزاه للبخاري والحسن بن سفيان في مسنديهما، وأبي نعيم في أخبار أصبهان والشيرازي في الألقاب، كلهم من طريق يعلى بن الأشدق وقال: وهو ساقط الحديث. وقال الحافظ في الإصابة (٦/ ٣١١ - ٣١٢).

قال أبو نُعَيْمٍ: رواه عن يعلى جماعة منهم هاشم بن القاسم الحرّاني، وأبو بكر الباهلي، وعروة العرقبي، لكنه تُوبِعَ؛ فقد وقعت لنا قصة في غريب الحديث للخطابي؛ وفي كتاب العلم للمرهبي وغيرهما، من طريق مهاجر بن سليم، عن عبد الله بن جراد: سمعت نابغة بني جعدة يقول: أنشدت النبي ﷺ قولي: عَلُونَا السَّمَاءَ... البيت؛ فغضب وقال: «إِنَّ الْمَطْهَرُ يَا أَبَا لَيْلَى؟» قلت: الجنة. قال: «أَجَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ». ثم قال: أنشدني من قولك. فأنشدته البيتين: وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ، فَقَالَ لِي: «أَجَدْتُ، لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَآكَ». فرأيت أسنانه كالبرد المنهل، ما انفصمت له سنٌ ولا انفلتت.

ورويته في المؤتلف والمختلف للدارقطني، وفي الصحابة لابن السكن، وفي غيرهما من طريق الرُّحَالِ ابن المنذر: حدثني أبي، عن أبيه كرز بن أسامة، وكانت له وفادة مع النابغة الجعدي، فذكرها بنحوه، ورويها في الأربعين البلدانية للسلفي، من طريق أبي عمرو بن العلاء، عن نصر بن عاصم الليثي، عن أبيه: سمعت النابغة يقول: أتيت رسول الله ﷺ فأنشدته قولي: أتيت رسول الله... البيت، وبعده: بلغنا السماء... البيت؛ فقال: «إِلَى أَيِّنَ يَا أَبَا لَيْلَى؟» قال: إلى الجنة. فقال رسول الله ﷺ: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ... فلما أنشدته ولا خَيْرَ فِي جَهْلٍ... البيت: ولا خير في حلم... البيت - فقال لي: «صَدَقْتُ لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَآكَ» فبقي عمره أحسن الناس ثغراً كلما سقطت سنٌ عادت أخرى؛ وكان معترراً.

ورويته في مسند الحارث بن أبي أسامة، من طريق الحسن بن عبيد الله العنبري، قال: حدثني مَنْ سمع النابغة الجعدي يقول: أتيت رسول الله ﷺ فأنشدته [من الطويل]:

وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَّا نَعُوذُ خَيْلَنَا  
وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَّا نَعُوذُ خَيْلَنَا  
وَتُنَكِّرُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلَنَا  
مِنْ الطُّغْنِ حَتَّى نَحْسَبَ الْجَوْنَ أَشْقَرًا  
وَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدُّهَا  
صِحَاحًا وَلَا مُسْتَنْكَرًا أَنْ نَعْقُرًا

اجتماع الحلم والجرأة معاً حتى يكمل الرجل. ومجدنا وسناؤنا بالرفع بدلاً من فاعل بلغنا. وقيل: هما مفعولان فهما بالنصب. وانظر ما وجهه، ولعله أنهما ظرفان اعتباريان، أي: بلغنا السماء في المجد والثناء. أو بدلان من السماء، بأن شبههما بها، ثم أطلقها عليهما وأبدلها منها، وهو أوجه من الظرفية. ولو قيل على النصب: أنهما تمييزان. كان وجيهاً، لكنه على رأي الكوفيين القائلين بجواز معرفة، ولما ادعى بلوغ السماء بنى عليه ما يبني على المحسوس فقال: وإنا لنرجو مظهرها فوق ذلك.

ينظر: خزنة الأدب (٣/ ١٦٩)، (٧/ ٤١٩)، وشرح التصريح (٢/ ١٦١)، ولسان العرب (٤/ ٥٢٣ - ٥٢٩)، والمقاصد النحوية (٤/ ١٩٣)، وأوضح المسالك (٣/ ٤٠٦)، وشرح الأشموني (٢/ ٤٣٩).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ٥٨﴾

﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة إلى المذكورين في السورة من لدن زكريا إلى إدريس - عليه السلام - و«من» في ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾: للبيان مثلها في قوله تعالى في آخر سورة الفتح: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَقَرَّةً﴾ [الفتح: ٢٩]؛ لأن جميع الأنبياء منعم عليهم، ومن الثانية للتبعيض، وكان إدريس من ذرية آدم لقربه منه؛ لأنه جد أبي نوح، وإبراهيم - عليه السلام -: من ذرية من حمل مع نوح؛ لأنه من ذرية سام بن نوح، وإسماعيل: من ذرية إبراهيم، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى: من ذرية إسرائيل؛ وكذلك عيسى؛ لأن مريم من ذريته، ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾: يحتمل العطف على من الأولى والثانية، إن جعلت الذين خيراً لأولئك كان ﴿إِذَا تُتْلَى﴾: كلاماً مستأنفاً، وإن جعلته صفة له كان خيراً، قرأ شبل بن عباد المكي: «يتلى»: بالتذكير؛ لأن التانيث غير حقيقي مع وجود الفاصل، البكي: جمع باك، كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد، وعن رسول الله ﷺ: «اتْلُوا الْقُرْآنَ وَأَبْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا» (٩٢٨)، وعن صالح المري - رضي الله عنه -: قرأت القرآن

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ ..... البيت . . . . .

وبقية القصيدة نحوه.

ورويتها مسلسلته بالشعراء من رواية دعبل بن علي الشاعر، عن أبي نواس، عن والبة بن الحباب، عن الفرزدق، عن الطرماح، عن الثابتة؛ وهي في كتاب الشعراء لأبي زرعة الرازي المتأخر. قال الحافظ: أخرجه البزار، وأبو نعيم، والبيهقي في الدلائل لها من طريق يعلى بن الأشرف عنه، وله طريق أخرى عند البيهقي وذكر القصيدة. انتهى.

٩٢٨ - أخرجه ابن ماجه (٤٢٤/١) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب في حسن الصوت بالقرآن حديث (١٣٣٧)، وأبو يعلى (٤٩/٢ - ٥٠) رقم (٦٨٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٣١/١٠)، كلهم من طريق الوليد بن مسلم ثنا أبو رافع عن ابن أبي مليكة عن عبد الرحمن بن السائب عن سعد بن أبي وقاص به.

قال البوصيري في الزوائد: في إسناده أبو رافع اسمه إسماعيل بن رافع ضعيف متروك. وللحديث طريق آخر.

أخرجه إسحاق بن راهويه والبزار كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٣٢٩/٢ - ٣٣٠) من طريق عبد الرحمن بن أبي بكر عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن السائب عن سعد قال: قال رسول الله ﷺ -: «اقرأوا القرآن وابكوا؛ فإن لم تبكوا فتباكوا». وقال البزار: لا نعلمه عن سعد إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، وعبد الرحمن بن أبي بكر هذا لين الحديث.

قال الحافظ: أخرجه إسحاق والبزار من طريق عبد الرحمن بن أبي مليكة عن ابن أبي مليكة عن عبد الرحمن بن السائب عن سعيد بلفظ: «إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا - الحديث» ومن هذا الوجه أخرجه أبو يعلى والحارث. والبيهقي في الشعب، وإسماعيل أيضاً لين. انتهى.

على رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: «هذه القراءة يا صالح، فأين البكاء؟»، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: إذا قرأت سجدة سبحان، فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه، وعن رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ بِحُزْنٍ، فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَتَحَازُّنُوا» (٩٢٩)، وقالوا: يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها؛ فإن قرأ آية تنزير السجدة، قال: اللهم: اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك، وأعوذ بك من أن أكون من المستكبرين عن أمرك، وإن قرأ سجدة سبحان، قال: اللهم، اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك، وإن قرأ هذه، قال: اللهم، اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتمدين، الساجدين لك، الباكين عند تلاوة آياتك.

﴿ خَلْفٌ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴾ (٥٩)

خلفه: إذا عقبه، ثم قيل في عقب الخير: «خلف»: بالفتح، وفي عقب السوء: خلف: بالسكون، كما قالوا: «وعد» في ضمان الخير، و«وعيد»: في ضمان الشر، عن ابن عباس - رضي الله عنه -: هم اليهود؛ تركوا الصلاة المفروضة، وشربوا الخمر، واستحلوا نكاح الأخت من الأب، وعن إبراهيم ومجاهد - رضي الله عنهما -: أضاعوها

٩٢٩ - أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٩٦/٦) من طريق إسماعيل بن سيف ثنا عوين بن عمرو أخو رباح القيسي ثنا الجريري عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا القرآن بحزن فإنه نزل بالحزن».

واستغربه أبو نعيم.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٢٧/٣) رقم (٢٩٢٣) من طريق إسماعيل بن سيف به وقال: لم يرو هذا الحديث عن سعيد إلا عوين تفرد به إسماعيل.

والحديث ذكره الحافظ الهيثمي في «المجمع» (١٧٣/٧)، وقال: رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن سيف وهو ضعيف.

تنبيه: عزا هذا الحديث الحافظ الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣٣٠/٢) إلى أبي يعلى ولم أجده في مسند أبي يعلى المطبوع، ثم وجدت الحافظ ابن حجر ذكر هذا الحديث في «المطالب العالية» (٣٤٩٨)، وعزاه لأبي يعلى أيضاً فلعل الحديث في مسنده الكبير.

وللحديث شاهد من حديث ابن عباس.

أخرجه ابن مردويه في «تفسيره» كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٣٣٠/٢) حدثنا عبد الباقي بن قانع ثنا محمد بن يونس ثنا أبو زيد سعيد بن أوس ثنا قيس بن الربيع عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ فَاقْرَءُوهُ بِحُزْنٍ».

ومحمد بن يونس هو الكديمي ضعيف.

قال الحافظ: أخرجه ابن مردويه من حديث ابن عباس بلفظ: «فاقرءوه بحزن» وإسناده ضعيف. ورواه أبو يعلى والعقيلي. وأبو نعيم في ترجمة رباح بن عمرو، والعسبي من حديث أبي بريدة عن أبيه بلفظ: «اقرأوا القرآن بحزن فإنه نزل بحزن». انتهى.

بالتأخير، وينصر الأول قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ يعني: الكفار، وعن علي - رضي الله عنه - في قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾: من بنى الشديد، وركب المنظور، ولبس المشهور، وعن قتادة - رضي الله عنه -: هو في هذه الأمة، وقرأ ابن مسعود والحسن والضحاك - رضي الله عنهم -: الصلوات: بالجمع.

كل شر عند العرب: غي، وكل خير: رشاد؛ قال المرقش [من الطويل]:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا تَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوَ لَا يَغْدَمُ عَلَى الْغِيِّ لَأَيْمًا<sup>(١)</sup>

وعن الزجاج: جزاء غي؛ كقوله تعالى: ﴿يَلْقَى أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] أي: مجازاة أثام، أو غيًّا عن طريق الجنة، وقيل: «غي»: واد في جهنم تستعيز منه أوديتها، وقرأ الأخفش: (يلقون).

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (٦١)

قري: «يدخلون»، و«يدخلون»، أي: لا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم ولا يمنعونهم، بل يضاعف لهم؛ بياناً لأن تقدّم الكفر لا يضرهم إذا تابوا من ذلك، من قولك: ما ظلمك أن تفعل كذا، بمعنى: ما منعك، أو لا يظلمون ألبتة، أي: شيئاً من الظلم.

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدٌ مَأْتِيًا﴾ (٦١)

لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن أبدلت منها؛ كقولك: أبصرت دارك القاعة والعلالي، و«عدن»: معرفة علم، بمعنى: العدن، وهو الإقامة، كما جعلوا: فينة،

(١) أمن حلم أصبحت تنكت واجمًا؟ وقد تعتري الأحلام من كان نائماً  
فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

للمرقش الأصغر صاحب فاطمة بنت المنذر، والأكبر عم الأصغر وعم طرفة، وهو صاحب أسماء، والاستفهام للتوبيخ، والحلم - بضمه - يضمه: ما يراه النائم. والنكت: التخطيط والنقر في الأرض بأصبع، أو عود، كما يفعل المهوم المتفكر. والواجم: الحزين، والواو للحال، أي: والحال أن أضغاث الأحلام قد تعتري النائم، فكان مجردة عن المعنى، فمن يلق: أي يصادف خيراً في أفعاله، يحمد الناس فعله، أو شأنه. وإيقاع الحمد عليه لأنه سببه، ومن يفعل غياً لا يعدم لائماً يلومه على غيه. وقيل: أراد بالخير الغنى، وبالغي: الفقر، ويبعده مقام اللوم وعدم مناسبته لما قبله، وغوى يغوي: من باب ضرب: انهمك في الجهل، وعدم يعدم - من باب علم -: فقده.

للمرقش الأصغر في ديوانه ص ٥٦٥، ولسان العرب (غوى)، وشرح اختيارات المفضل ص ١١٠٤، وتاج العروس (غوي)، وبلا نسبة في كتاب العين ٢/٢٣٨، ومقاييس اللغة ٤/١٩٢، ٣٩٩، والمختصص ٦/١٧٠، ١٣/٧٦.

وسحر، وأمس - فيمن لم يصرفه - : أعلاماً لمعاني ٢/٦٦: الفينة<sup>(١)</sup>، والسحر، والأمس، فحري مجرى العدن لذلك، أو هو علم لأرض الجنة؛ لكونها مكان إقامة، ولولا ذلك لما ساغ الإبدال؛ لأن النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة، ولما ساغ وصفها بالتي، وقرئ: «جنات عدن»، و«جنة عدن»: بالرفع على الابتداء، أي: وعددها وهي غائبة عنهم غير حاضرة، أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها، أو بتصديق الغيب والإيمان به، قيل في ﴿مَائِيًا﴾: مفعول، بمعنى: فاعل، والوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها، أو هو من قولك: أتى إليه إحساناً، أي: كان وعده مفعولاً منجزاً.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَهُمْ فِيهَا فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (١٦)

اللغو: فضول الكلام وما لا طائل تحته، وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو وانتقائه؛ حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها، وما أحسن قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرًّا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ لَا يَنْبَغِي الْجَهْلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنيننا، أي: إن كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغوًا، فلا يسمعون لغوًا إلا ذلك، فهو من وادي قوله [من الطويل]:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سِيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَائِبِ<sup>(٢)</sup>

أو لا يسمعون فيها إلا قولاً يسلمون فيه من العيب والنقيصة، على الاستثناء المنقطع<sup>(٣)</sup>؛ أو لأن معنى: السلام هو: الدعاء بالسلامة<sup>(٤)</sup>، ودار السلام: هي دار السلامة، وأهلها عن الدعاء بالسلامة أغنياء، فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث،

(١) قوله «المعاني الفينة» في الصحاح «لقيته الفينة بعد الفينة» أي الحين بعد الحين. وإن شئت حذف الألف واللام فقلت: لقيته فينة، كما قالوا: لقيته الندري، وفي ندري. (ع).

(٢) تقدم شرح هذا الشاهد عند تفسير آية ١٢٧ من سورة الأعراف من الجزء الثاني فراجع إن شئت اهـ.

(٣) قال محمود: «يجوز أن يكون من قوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وأن يكون استثناء منقطعاً قال أحمد: والفرق بين الوجهين أنه جعل الفلول عيباً على سبيل التجوز، بتألفي العيب بالكلية، كأنه يقول: إن كان فلول السيوف من القراع عيباً فإنهم ذوو عيب، معناه: وإن لم يكن عيباً فليس فيهم عيب ألبتة؛ لأنه لا شيء سوى هذا، فهو بعد هذا التجوز والفرض استثناء متصل.

(٤) عاد كلامه. قال: «ويجوز أن يكون متصلاً على أن يكون السلام هو الدعاء بالسلامة... إلخ» قال أحمد: وهذا يجعله من المتصل على أصل الحقيقة، لا كالأول الناشئ عن المجاز. وفي هذا الباب بعد؛ لأنه يقتضي البت بأن الجنة يسمع فيها لغو وفضول، وحاش لله، فلا غول فيها ولا لغو.

لولا ما فيه من فائدة الإكرام.

من الناس من يأكل الوجبة<sup>(١)</sup>، ومنهم من يأكل متى وجد - وهي عادة المنهومين، ومنهم من يتغدى ويتعشى - وهي العادة الوسطى المحمودة، ولا يكون ثم ليل ولا نهار، ولكن على التقدير؛ ولأن المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء، وقيل: أراد دوام الرزق ودروره، كما تقول: أنا عند فلان صباحاً ومساءً وبكرة وعشيّاً، يريد: الديمومة، ولا تقصد الوقتين المعلومين.

### ﴿بَلَدًا لَّيْسَ بِهَا مَأْوَىٰ ذُنُوبُهُمْ لِيَكْذِبُوا عَنْهَا وَقَالَ اللَّهُ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (١٣)

﴿نُورٌ﴾، وقرئ: «نورث»، استعارة، أي: نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورث، ولأن الأتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة، فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى، وقيل: أورثوا من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا.

### ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ

### نَسِيًّا﴾ (١٤)

﴿وَمَا نَنْزِلُ﴾: حكاية قول جبريل - صلوات الله عليه - حين استبطأه رسول الله ﷺ روي أنه احتبس أربعين يوماً، وقيل: خمسة عشر يوماً؛ وذلك حين سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، فلم يدر كيف يجيب ورجا أن يوحى إليه فيه، فشق ذلك عليه مشقة شديدة، وقال المشركون: ودّعه ربه وقلاه، فلما نزل جبريل - عليه السلام - قال له النبي ﷺ: «أَبْطَأْتُ حَتَّى سَاءَ ظَنِّي وَأَشْتَقْتُ إِلَيْكَ». قال: إني كنت أشوق ولكني عبد مأمور، إذا بعثت نزلت، وإذا حبست احتبست، وأنزل الله - سبحانه - هذه الآية وسورة الضحى (٩٣٠)، والتنزل على معنيين: معنى النزول على مهل، ومعنى النزول على

٩٣٠ - قال الزيلعي في تخريج الكشاف: رواه ابن إسحاق في سيرته بنقص يسير. اهـ.

وأخرجه ابن هشام في سيرته (٣٧٨/١: ٣٨١) رقم (٢٨٦ - ٢٨٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة»: (٢٦٩/٢ - ٢٧١) بسنده عن ابن إسحاق، وقال: «حدثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به، ومن طريق ابن إسحاق، رواه أبو نعيم في دلائل النبوة، كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣٣١/٢)، ورواه أيضاً من طريق الكلبي: عن أبي صالح، عن ابن عباس فذكر نحوه، =

(١) قوله «من الناس من يأكل الوجبة» أي يأكل كل يوم وليلة مرة. وقد وجب نفسه تـرجيباً إذا عودها ذلك؛ كذا في الصحاح. (ع)

الإطلاق؛ كقوله [من الطويل]:

فَلَسْتُ لِإِنْسِي وَلَكِنْ لِمَلَأِكِ تَنْزَلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَصُوبُ<sup>(١)</sup>

== وفيه قال: «أبسطاً جبريل عن النبي - ﷺ - خمسة عشر يوماً لا يأتيه لتركه الاستثناء... الحديث.

كما أخرجه الواحدي في تفسيره (١٨٩/٣)، وعزاه الزيلعي إلى الثعلبي في تفسيره، وإلى الواحدي في أسباب النزول.

قال الحافظ: ذكره الثعلبي عن عكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل والكلبي. فقالوا: احتبس، فذكره سواء، وكأنه ملفق عندهم، فقد ذكره ابن إسحاق في السيرة، قال: حدثني شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس «أن قريشاً جاءوا فقالوا: يا محمد. أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول - فذكر القصة - وفيها فمكت فيما يذكرون خمسة عشر ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك، وصار لا يأتيه جبريل. فذكره بتغير وزيادة ونقص. ورواه أبو نعيم في الدلائل من طريقه، ومن طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نحوه، وقال أبسطاً عنه خمسة عشر يوماً لتركه الاستثناء. انتهى.

(١) تعاليت أن تعزى إلى الإنس جلة ولإنس من يعزوك فهو كذوب  
فلست بإنسي ولكن ملأكا تنزل من جو السماء يصوب

لرجل من عبد القيس، يمدح النعمان بن المنذر. وقيل: لأبي وجزة يمدح عبد الله بن الزبير. وتعزى: أي تنسب، والجلة - بالضم -: وعاء التمر، وبالكسر: الجماعة العظيمة، جمع جليل، وبالفتح: البعرة، وهو تمييز محول من نائب عن الفاعل، أي: تعاليت عن أن ينسب وعازوك أي: أصلك إلى الإنس. وقوله: ولإنس من يعزوك، فيه تقديم معمول الصلة على الموصول. والمشهور منه: لأنهم يتوسعون في الظروف، وزيدت الفاء في خبر الموصول لأنه يشبه الشرط، ولو جعل شرطاً لكان فيه إثبات حرف العلة بعد الجازم للضرورة. والملاك معفل، بتقديم العين من الألوكة بالفتح وهي الرسالة، وقال أبو عبيدة: هو مفعل على اسم المكان، من لأك إذا أرسل، ولعله جاء على مفعل لتصوير أن الرسول مكان الرسالة. وقال ابن كيسان: هو فعّال من الملك، فالهمزة زائدة، وعلى كل يخفف بالنقل فيقال فيه تلك. والصوب: القصد أو الميل عند النزول، ونصب ملاكا لأنه اسم لكن، وما بعده صفته، أي: ولكن ملاكا نازلاً من السماء أنت. وفيه: أن المحدث عنه الممدوح لا الملك، ويمكن أنه قلب للمبالغة كما قالوه في التشبيه المقلوب. ويحتمل أن تقديره: ولكنك كنت ملاكا، وفيه بعد. والأوجه رواية الصحاح:

فلست لإنسي ولكن لملاك

أي: فلست منسوباً لإنسي ولكن لملاك، وبالغ في ذلك حتى جعله نازلاً من جهة السماء، يصوب: أي يقصد إلى جهة.

في صلة ديوانه ص ١١٨، ولتمتم بن نويرة في ديوانه ص ٨٧، وشرح أشعار الهذليين ١/٢٢٢، ولرجل من عبد القيس، أو لأبي وجزة، أو لعلقمة في المقاصد النحوية ٤/٥٣٢، ولرجل من عبد القيس يقال: إنه النعمان، أو لأبي وجزة في لسان العرب (ملك)، وبلا نسبة في الأزهية ص ٢٥٢، والأشياء والنظائر ٨/٦٩، والاشتقاق ص ٢٦، وإصلاح المنطق ص ٧١، وأمالى ابن الحاجب ص ٨٤٣، وجمهرة اللغة ص ٩٨٢، وشرح شافية ابن الحاجب ٢/٣٤٦، وشرح شواهد الشافية ص ٢٨٧، والكتاب ٤/٣٨٠، ولسان العرب (صوب)، (ألك) (لأك)، (ملك)، والمنصف ٢/١٠٢.

لأنه مطاوع نزل، ونزل يكون بمعنى: أنزل، وبمعنى: التدرج، واللائق بهذا الموضع هو: النزول على مهل، والمراد: أن نزلنا في الأحايين وَقْتًا غَيْبٌ وقت ليس إلا بأمر الله، وعلى ما يراه صواباً وحكمة، وله ما قدامنا، ﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾: من الجهات والأماكن، ﴿وَمَا بَيَّنَّا ذَلِكَ﴾: وما نحن فيها فلا نتمالك أن نتنقل من جهة إلى جهة ومكان إلى مكان إلا بأمر المليك: ومشيتته، وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون، وما يحدث ويتجدد من الأحوال، لا يجوز عليه الغفلة والنسيان، فأنى لنا أن نتقلب في ملوكته إلا إذا رأى ذلك مصلحة وحكمة، وأطلق لنا الإذن فيه، وقيل: ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة، وما بين ذلك: ما بين النفختين وهو أربعون سنة، وقيل: ما مضى من أعمارنا وما غبر منها، والحال التي نحن فيها، وقيل: ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا، وقيل: الأرض التي بين أيدينا إذا نزلنا، والسماء التي وراءنا، وما بين السماء والأرض، والمعنى: أنه المحيط بكل شيء، لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة، فكيف نقدم على فعل نحدثه إلا صادراً عما توجهه حكمته وأمرنا به ويأذن لنا فيه، وقيل: معنى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: وما كان تاركاً لك؛ كقوله تعالى: ﴿وَدَعَا رَبُّكَ وَمَا قَالَى﴾ (١٠) [الضحى: ٣]، أي: ما كان امتناع النزول إلا لامتناع الأمر به، ٦/٢ ب وأما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه إياك، ولكن لتوقفه على المصلحة، وقيل: هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة، أي: وما تنزل الجنة إلا بأن من الله علينا بثواب أعمالنا وأمرنا بدخولها، وهو المالك لرقاب الأمور كلها السالفة والمتروقة والحاضرة، اللطيف في أعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها، ثم قال الله تعالى - تقريراً لقولهم -: وما كان ربك نسياً لأعمال العاملين، غافلاً عما يجب أن يثابوا به، وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السماء والأرض وما بينهما؟ ثم قال لرسوله - ﷺ -: فحين عرفته على هذه الصفة، فأقبل على العمل وعبده: يثبك كما أثناب غيرك من المتقين، وقرأ الأعرج - رضي الله عنه -: «وما يتنزل»: بالياء على الحكاية عن جبريل - عليه السلام - والضمير: للوحي، وعن ابن مسعود - رضي الله عنه -: إلا بقول ربك: يجب أن يكون الخلاف في النسي مثله في البغي.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (١٠)

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: بدل من ربك، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: هو رب السموات والأرض، ﴿فَاعْبُدْهُ﴾؛ كقوله [من الطويل]:

وَقَائِلَةٌ خَوْلَانٌ فَأَنْكَحَ فَتَاتَهُمْ

(١) وقائلة خولان فانكح فتاتهم وأكرومة الحيين خلو كما هيا =

وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: من كلام المتقين، وما بعده من كلام رب العزة.

فإن قلت: هلا عدى: ﴿وَأَصْطَبِرْ﴾: بعلى التي هي صلته؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَصْطَبِرْ عَلَيَّ﴾ [طه: ١٣٢].

قلت: لأن العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب: اصطر لقرنك: أي اثبت له فيما يورد عليك من شداته أريد أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق، فاثبت لها ولا تهن، ولا يضق صدرك عن إلقاء عداتك من أهل الكتاب إليك الأغاليط، وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك، أي: لم يسم شيء بالله قط، وكانوا يقولون لأصنامهم: آلهة، والعزى: إله، وأما الذي عوض فيه الألف واللام من الهمزة، فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: لا يُسَمَّى أحد الرحمن غيره (٩٣١)، ووجه آخر: هل تعلم من سمى باسمه على الحق دون

٩٣١ - أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٧٥/٢) كتاب التفسير وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

وذكره الواحدي في تفسيره (١٨٩/٣)، وذكره السيوطي في الدر (٥٠٣/٤).

شاعره مجهول. أي: ورب قائلة. وخولان بالفتح اسم قبيلة باليمن، وهو مبتدأ خبره ما بعده، والفاء زائدة فيه على رأي الأخفش والفراء، ومنع سيبويه زيادتها هنا: لأن المبتدأ لم يشبه الشرط، فخبره محذوف، أي: خولان كرام فانكح أي تزوج فئاتهم، أو هو خبر لمحذوف، أي: هؤلاء خولان المعروفون بالكرم، تتزوج بفئاتهم. وبنى «أكرومة» من الكرم للدلالة على كثرة الكرم، كما أن أعجوبة من التعجب للدلالة على كثرته، والجملة حالية، فيحتمل أنها مانعة من نكاح الفتاة، أي: قالت لي ذلك، والحال أن أكرومة الحيين أي كريمة حي أبي وحي أمي؛ خلو بالضم: خالية من الأرواح كما كانت، فهي أولى من الفتاة بالزواج لقربانها مني. ويحتمل أنها داعية إليه، فالمعنى: قالت لي ذلك والحال أن الفتاة التي هي أكرومة الحيين، أي حي أبيها وحي أمها من خولان، على ما هي عليه من البكارة، أو من الخلو من الأزواج لم تتزوج أحدًا قبلي، فهي حقيقة بأن أتزوجها لكرم طرفيها، فعلم أن الكاف بمعنى على. ويجوز أن يشبه حالها الآن بحالها فيما مضى. فالكاف على أصلها. ويحتمل أن الواو للعطف، أي: قالت ذلك، وقالت: إنها خالية لم يطمثها أحد قبلك، فهي حقيقة بالزواج لذلك، لكنه بعيد.

ينظر الأزهية ص ٢٤٣، أوضح المسالك ١٦٣/٢، الجنى الداني ص ٧١، خزائن الأدب ٣١٥/١، ٤٥٥، ٣٦٩/٤، ١٩/٨، ٣٦٧/١١، الدرر ٣٦٧/٢، الرد على النحاة ص ١٠٤، رصف المباني ص ٣٨٦، شرح أبيات سيبويه ٤١٣/١، شرح الأشموني ١٨٩/١، شرح التصريح ٢٩٩/١، شرح شواهد الإيضاح ص ٨٦، شرح شواهد المغني ٤٦٨/١، ٨٧٣/٢، شرح المفصل لابن يعيش ١/١٠٠، ٩٥/٨، الكتاب ١٣٩/١، ١٤٣، لسان العرب (غلا)، المقاصد النحوية ٥٢٩/٢، همع الهوامع ١١٠/١ العين ٥٢٩/٢، الدرر ٧٩/١، الدر المصون ٥٢٢/٢.

الباطل؛ لأن التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية، وقيل: مثلاً وشبيهاً، أي: إذا صح أن لا مـسـبـود يـوجـه إليه العباد العباد إلا هو وحده، لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليها.

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَذًا مَا مِثُّ لَسَوَفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۖ ﴿١٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِن قَبْلُ  
وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ۖ ﴿١٧﴾﴾

يحتمل أن يراد بالإنسان الجنس بأسره، وأن يراد بعض الجنس وهم الكفرة.

فإن قلت: لم جازت إرادة الأناسي كلهم، وكلهم غير قائلين ذلك؟

قلت: لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم، صح إسناده إلى جميعهم، كما يقولون: بنو فلان قتلوا فلانا؛ وإنما القاتل رجل منهم؛ قال الفرزدق [من الطويل]:

فَسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ نَبَا بِيَدَيْ وَرَقَاءَ عَنِ رَأْسِ خَالِدٍ<sup>(١)</sup>  
فقد أسند الضرب إلى بني عبس مع قوله: «نبا بيدي ورقاء»، وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي.

فإن قلت: بم انتصب: ﴿إِذِ انْتَبَذْتُ﴾، وانتصابه بأخرج ممتنع لأجل اللام، لا تقول: اليوم لزيد قائم؟

قلت: بفعل مضمـر يدل عليه المذكور.

فإن قلت: لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى: الحال، فكيف جمعت حرف الاستقبال<sup>(٢)</sup>؟

= وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان.

(١) للفرزدق وهذا لقبه، واسمه همام أو هميم، يريد: ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي. أمره سليمان بن عبد الملك بضرب أعناق بعض أسرى الروم، وأعطاه سيفاً لا يقطع فقال: بل أضربهم بسيف أبي رغوان مجاشع، يعني نفسه، فـضرب عنق خالد فـانحرف السيف وارتفع عن المضرب، فضحكوا منه. ونسب السيف والضرب إلى بني عبس مع أنهما لواحد منهم، تعظيماً لهما وتفخيماً. وجعله في اليدين إشارة إلى أنه كان مجمعاً أمره وحازماً عزمه غير متهاون... والمعنى: أن الحذر لا ينفع من القدر كما وقع لورقاء، مع أنه في غاية الحرص، لا سيما أمام الملك. ويجوز أنه يريد ذم بني عبس.

(٢) قال محمود: «إن قلت كيف اجتمعت اللام وهي للحال مع حرف الاستقبال... الخ» قال أحمد: =

قلت: لم تجمعها إلا مخصصة للتوكيد، كما أخلصت الهمزة في: يا الله: للتعويض، واضمحل عنها معنى التعريف<sup>(١)</sup>، و«ما» في ﴿إِذَا مَا﴾: للتوكيد - أيضاً - فكأنهم قالوا: أحقاً أنا سنخرج أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك؟ على وجه الاستنكار والاستبعاد، والمراد: الخروج من الأرض، أو من حال الفناء، أو هو من قولهم: خرج فلان عالماً، وخرج شجاعاً: إذا كان نادراً في ذلك، يريد: سأخرج حيناً نادراً على سبيل التهزؤ، وقرأ الحسن وأبو حيو: لسوف أخرج، وعن طلحة بن مصرف - رضي الله عنه -: لسأخرج؛ كقراءة ابن مسعود - رضي الله عنه -: ولسيعطيك، وتقديم الظرف وإبلاؤه حرف الإنكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكراً، ومنه جاء إنكارهم، فهو كقولك: للمسيء إلى المحسن: أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت إليه: الواو عطفت ﴿أَوَّلًا يَذْكُرُ﴾ على ﴿وَيَقُولُ﴾، ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف، يعني: أيقول ذاك ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر الأخرى<sup>(٢)</sup>؛ فإن تلك أعجب

= ولاعتقاد تناقض الحرفين: منع الكوفيين اجتماعهما. وإنما جردت اللام من معناها لتلائم «سوف» دون أن تجرد سوف لتلائم اللام؛ لأنه لو عكس هذا للفت سوف، إذ لا معنى لها سوى الاستقبال. وأما اللام إذا جردت من الحال بقي لها التوكيد، فلم تلغ، فتعين، والله أعلم.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وما ذكر من أن اللام تعطي الحال مخالف فيه»، فعلى مذهب من لا يرى ذلك يسقط السؤال، وأما قوله: «كما أخلصت الهمزة» فليس ذلك إلا على مذهب من يزعم أن أصله: إله، وأما من يزعم أن أصله لاؤه، فلا تكون الهمزة فيه للتعويض إذ لم يحذف منه شيء، ولو قلنا إن أصله: إله وحذفت فاء الكلمة لم يتعين أن الهمزة فيه في النداء للتعويض؛ إذ لو كانت عوضاً عن المحذوف لثبت دائماً في النداء وغيره، ولما جاز حذفها في النداء، قالوا: «يا لله» بحذفها وقد نصوا على أن قطع همزة الوصل في النداء شاذ انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «ذكر الله الإنسان النشأة الأولى ليعترف بالأخرى... إلخ» قال أحمد: مذهب أهل السنة أن إعادة المعدوم جائزة عقلاً، ثم واقعة نقلاً. والمعتزلة وإن وافقت على ذلك، إلا أنها تزعم أن المعدوم له ذات ثابتة في العدم، يقضي عليها بأنها شيء فليس عندهم عدم صرف ونفي محض قبل الوجود ولا بعده، فكأنهم لولا ذلك لقالوا بقول الفلاسفة الذين هم مختصرهم، ولأنكروا إعادة المعدوم كما أنكروه القدماء. وعقيدة أهل السنة هي المطابقة للآية؛ لأن النشأة الأولى لم يتقدمها وجود، ولأن المنشأ ابتداء لم يكن شيئاً قبل ذلك. وأما النشأة الثانية فقد تقدمها وجود، وكان المنشأ قبلها شيئاً في زمان وجوده، ثم عدم وبطلت شيبته، فظهر فرق ما بين النشأتين كما نطق به القرآن. وأما المعتزلة فإن قالوا: إن الأجسام يعدمها الله ثم يوجد، فقد قالوا الحق، لكن لا يتم على أصلهم فرق بين النشأتين؛ لأن المعدوم فيهما كان شيئاً قبل النشأة، فإن قالوا: لا تنعدم الأجسام، وإنما تفرق ثم تجمع كما صرح به الزمخشري: لأنه تفتن لأن القول بأن الأجسام تنعدم ثم يوجد الله تعالى مع القول بأن المعدوم شيء - يبطل الفرق بين النشأتين ولم يطق ذلك، وقد نطق به القرآن فالتزم أن الأجسام لا تنعدم ليشتم له الفرق بين النشأة الثانية - وإنما هي على هذا التقرير جمع وتأليف لموجود - وبين النشأة الأولى التي هي إيجاد معدوم، فتنبه لبعده غوره، ولكن هرب من القطر فوقع تحت الميزاب، فهو والحالة هذه كالمستغيث من الرمضاء بالنار، والله ولي =

وأغرب وأدل على قدرة الخالق؛ حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود، ثم أوقع التأليف مشحوناً بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها، من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف، ولكن اختراعاً وإبداعاً من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته، وأما الثانية: فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه، وليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة الباقية وتركيبها، وردها إلى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَكُ شَيْئًا﴾: دليل على هذا المعنى؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَىٰ ۚ ٢٧﴾ [الروم: ٢٧]، على أن رب العزة سواء عليه النشاطان، لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل، ولا يحتاج إلى احتذاء على مثال: ولا استعانة بحكيم، ولا نظر في مقياس، ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في بحر معانده، وكشفاً عن صفحة جهله، القراء كلهم على: (لا يذكر): بالتشديد إلا نافعاً وابن عامر وعاصم - رضي الله عنهم - فقد خففوا، وفي حرف أبي: يتذكر، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقاءه.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا ۗ﴾ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴿٢٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلَاً ﴿٧٠﴾ ﴿

في إقسام الله - تعالى - باسمه - تقدست أسماؤه - مضافاً إلى رسول الله ﷺ: تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه، كما رفع من شأن السماء والأرض في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ۗ﴾ [الذاريات: ٢٣] والواو في: ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾: يجوز أن تكون للعطف، وبمعنى: مع، وهي بمعنى: «مع» أوقع، والمعنى: أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووههم، يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة.

فإن قلت: هذا إذا أريد بالإنسان الكفرة خاصة، فإن أريد الأناسي على العموم<sup>(١)</sup>

= التوفيق. ومعنى تفريق الله تعالى بين النشاطين: أن الجاحد متهافت لأنه اعترف بالأولى وهي أصعب بالنسبة إلى قياس العقل، وأنكر الثانية وهي أسهل وأهون؛ لأن ذلك راجع إلى قدرته تعالى؛ فإن الكل لدى قدرة الله تعالى هين على سواء.

(١) عاد كلامه. قال: «والإنسان يحتمل أن يراد به العموم... الخ» قال أحمد: التبتت عليه إرادة العموم بتناول العموم وبينهما بؤن، ومن ثم خلت عبارته هذه عن التحرز والصون، فصرح بأن الله تعالى أراد بالإنسان العموم، ومعنى إرادة العموم: أن يريد الله تعالى نسبة كلمة الشك والكفر إلى كل فرد من أفراد الإنسان، ومعاذ الله. وقد صرح الزمخشري بأن الناطق بكلمة الشك بعض الجنس، ففي العبارة خلل كما ترى. والعبارة الصحيحة أن يقال: يحتمل أن يكون التعريف جنسياً، فيكون عهدياً، فيكون اللفظ من أول وهلة خاصاً، والله أعلم.

فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين؟

قلت: إذا حشر جميع الناس حشراً واحداً وفيهمو الكفرة مقرونين بالشياطين، فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة.

فإن قلت: هلا عزل السعداء عن الأشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء؟

قلت: لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر، وأحضرُوا؛ حيث تجاثوا حول جهنم، وأوردوا معهم النار؛ ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم، فيزدادوا لذلك غبطة إلى غبطة وسروراً إلى سرور، ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم، فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم.

فإن قلت: ما معنى: إحصارهم جثياً؟

قلت: أما إذا فسر الإنسان بالخصوص، فالمعنى: أنهم يقبلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلاً<sup>(١)</sup> على حالهم التي كانوا عليها في الموقف، جثة على ركبهم، غير مشاة على أقدامهم؛ وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو، قال الله تعالى: ﴿وَرَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَآئَةً﴾ [البجائية: ٢٨]، على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات، من تجاثي أهلها على الركب؛ لما في ذلك من الاستيفاز والقلق وإطلاق الحبا وخلاف الطمأنينة، أو لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطبقون معها القيام على أرجلهم، فيحبون على ركبهم حبواً، وإن فسر بالعموم، فالمعنى: أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم، على أن جثياً: حال مقدر، كما كانوا في الموقف متجاثين؛ لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب، والمراد بالشيعة - وهي: «فعلة» كفرقة وفتية - الطائفة التي شاعت<sup>(٢)</sup>، أي: تبعت غاوباً من الغوأة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩]، يريد: نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم فأعصاهم، وأعتاهم فأعتاهم، فإذا اجتمعوا، طرحناهم في النار على الترتيب، نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم، أو أراد بالذين هم أولى به صلياً: المنتزعين كما هم، كأنه قال: ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء، وهم أولى بالصلي من بين سائر الصالين، ودركاتهم أسفل، وعذابهم أشد، ويجوز أن يريد بأشدهم عتياً: رؤساء الشيع وأئمتهم؛ لتضاعف جرمهم بكونهم ضللاً ومضلين، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]، ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [المنكوب: ١٣]،

(١) قوله «عتلاً» العتل: الجذب العنيف. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله «شاعت» في الصحاح: شاعه شاعا: تبعه. (ع)

واختلف في إعراب: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾، فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية، تقديره: لننزعه الذين يقال فيهم أيهم أشد، وسيبويه على أنه مبني على الضم، لسقوط صدر الجملة التي هي صلته، حتى لو جيء به لأعرب، وقيل: أيهم هو أشد، ويجوز أن يكون النزاع واقعاً على: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ﴾؛ كقوله سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ [سريم: ٢٥]، أي: لننزعه بعض كل شيعة، فكأن قائلاً قال: من هم؟ فقيل: أيهم أشد عتياً<sup>(١)</sup>، وأيهم أشد: بالنصب عن طلحة بن مصرف، وعن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء.

فإن قلت: بم يتعلق على والباء؛ فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه؟

قلت: هما للبيان لا الصلة، أو يتعلقان بأفعل، أي: عتوهم أشد على الرحمن، وصليهم أولى بالنار؛ كقولهم: هو أشد على خصمه، وهو أولى بكذا.

﴿وَإِنْ يَنْكُرُ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧٦﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذُرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَإِنْ يَنْكُرُ﴾: التفات إلى الإنسان، يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة - رضي الله عنهما -: «وإن منهم»، أو خطاب للناس<sup>(٢)</sup> من غير التفات إلى المذكور، فإن أريد الجنس كله فمعنى الورود: دخولهم فيها وهي جامدة، فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم، عن ابن عباس - رضي الله عنه -: يردونها كأنها إهالة، وروي دواية<sup>(٣)</sup>، وعن جابر بن عبد الله؛ أنه سأل رسول الله - ﷺ - عن ذلك؟ فقال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:

- (١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا تكلف ما لا حاجة إليه، وادعاء إضمار غير محتاج إليه، وجعل ما ظاهره أنه جملة واحدة جملتين». وحكى أبو البقاء عن الأخفش، والكسائي أنه مفعول «لَنْتَزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ»، و«مِنْ» مزيدة، قال: «وهما يجيزان زيادة «مِنْ» و«أَيُّ» استفهام»، أي: لننزعه كل شيعة، وهذا يخالف في المعنى تخريج الجمهور، فإن تخريجهم يؤدي إلى التبعض، وهذا يؤدي إلى العموم، إلا أن تجعل «مِنْ» لا ابتداء الغاية، لا للتبعض، فيتفق التخريجان. وذهب الكسائي إلى أن معنى «لَنْتَزِعَنَّ» لتنادين فعمل معاملة، فلم يعمل في «أَيُّ». انتهى. الدر المصون.
- (٢) قال محمود: «يحتمل أن يكون استثناءً خطاباً للناس، ويحتمل أن يكون التفاتاً». قال أحمد: احتمال الالتفات مفرع على إرادة العموم من الأول، فيكون المخاطبون أولاً هم المخاطبين ثانياً؛ إلا أن الخطاب الأول بلفظ الغيبة، والثاني بلفظ الحضور، وأما إذا بينا على أن الأول إنما أريد منه خصوص على التقديرين جميعاً، فالثاني ليس التفاتاً، وإنما هو عدول إلى خطاب العامة عن خطاب خاص لقوم معينين، والله أعلم.
- (٣) قوله «كأنها إهالة وروي دواية» في الصحاح «الإهالة» الودك. وفيه أيضاً «الدواية» الجليدة التي يوضع فيها اللبن والمرق. (ع)



حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ» (٩٣٥)، ويجوز أن يراد بالورود: جشؤهم حولها، وإن أريد الكفار خاصة، فالمعنى بين .

= «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء».

ورود من حديث ابن عمر وابن عباس .

أما حديث ابن عمر: فأخرجه البخاري (٣٢٦/١١) كتاب الطب، باب الحمى من فيح جهنم حديث (٥٧٢٣)، ومسلم (٤٤٩/٧ - ٤٥٠ - نووي) كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستجاب التداوي حديث (٢٢٠٩).

وابن ماجه (١١٥٠/٢) كتاب الطب، باب الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء حديث (٣٤٧٢). ومالك في الموطأ (٩٤٥/٢) في العين، باب الغسل بالماء من الحمى، وابن حبان في صحيحه (٤٣١/١٣) رقم (٦٠٦٦ - ٦٠٦٧)، وأحمد (٢١/٢ - ٨٥)، والبيهقي (١/٢٢٥). والطبراني (٣٦٠/١٢) رقم (٣٣٣٤٢).

وأما حديث ابن عباس: قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الحمى من فيح جهنم فأبردوها بماء زمزم».

رواه البخاري (٤٨٠/٦) كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة حديث (٣٢٦١).

وأحمد (٢٩١/١)، وابن حبان (٤٣١/١٣) رقم (٦٠٦٨)، والحاكم (٤/٢٠٠).

وأبو يعلى في مسنده (١١٨/٥ - ١١٩) رقم (٢٧٣٢)، والطبراني (١٢/٢٢٩) رقم (١٢٩٦٧). قال الحافظ: متفق عليه من حديث عائشة - رضي الله عنها - انتهى.

٩٣٥ - روي من حديث أبي هريرة، وأنس، وعائشة، وأبي ریحانة، وأبي أمامة، وعثمان بن عفان، وابن مسعود، وسعد بن معاذ.

أما حديث أبي هريرة: فرواه ابن ماجه (١١٤٩/٢) كتاب الطب، باب الحمى حديث (٣٤٧٠)، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا أبو أسامة عن عبد الرحمن بن يزيد عن إسماعيل بن عبيد الله عن أبي صالح الأشعري عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - أنه عاد مريضاً ومعه أبو هريرة من وعك كان به فقال رسول الله - ﷺ - : «أبشر فإن الله يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا، لتكون حظه من النار في الآخرة».

وهو عند الترمذي (٤١٢/٤) كتاب الطب، باب (٢٠٨٨)٣٥ والحاكم (١/٣٤٥)، والبيهقي في الشعب (١٦١/٧) رقم (٩٨٤٤)، وأبي نعيم في الحلية (٦/٨٦).

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» اهـ.

وأما حديث أنس: فرواه الطبراني في الأوسط (٨/٢٦٦) (٧٥٣٦) حدثنا محمد بن إبراهيم العسال قال: حدثنا سليمان بن داود الشاذكوني قال: حدثنا عبيس بن ميمون قال: حدثني قتادة عن أنس قال: قال رسول الله - ﷺ - : «الحمى حظ المؤمن من النار».

ثم قال: لم يرو هذا الحديث عن قتادة إلا عبيس بن ميمون تفرد به الشاذكوني.

وأما حديث عائشة: فأخرجه البزار (١/٣٦٤) رقم (٧٦٥ - كشف) حدثنا محمد بن موسى الواسطي ثنا عثمان بن مخلد ثنا هشيم عن المغيرة عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة أن النبي - ﷺ - قال: «الحمى حظ كل مؤمن من النار».

ثم قال البزار: «لا نعلم أسنده عن هشيم إلا عثمان».

قال الهيثمي في المجمع (٢/٣٠٩): «رواه البزار وإسناده حسن» اهـ.

الحتم: مصدر حتم الأمر إذا أوجبه، فسمى به الموجب؛ كقولهم: خلق الله، وضرب الأمير، أي: كان ورودهم واجباً على الله، أوجبه على نفسه وقضى به، وعزم على ألا

وأما حديث أبي ريحانة: قال: قال رسول الله - ﷺ -: «الحمي من فيح جهنم وهي نصيب المؤمن من النار».

أخرجه البيهقي في الشعب (١٦٦/٧ - ١٦٦) رقم (٩٨٤٦)، قال الهيثمي في المجمع (٣٠٩/٢): «رواه الطبراني في الكبير، وفيه شهر بن حوشب وفيه كلام ووثقه جماعة» اهـ.

وأما حديث أبي أمامة: فرواه أحمد في المسند (٢٥٢/٥) حدثنا يزيد هو ابن هارون أنا محمد بن مطرف عن أبي الحصين عن أبي صالح الأشعري عن أبي أمامة عن النبي - ﷺ -: قال: «الحمي من كيد جهنم، فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار».

ورواه أيضاً في المسند (٢٦٤/٥). والطبراني في الكبير (١١٠/٨) رقم (٧٤٦٨). قال الهيثمي في المجمع (٣٠٨/٢): «رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه أبو حصين الفلسطيني، ولم أر له راوياً غير محمد بن مطرف» اهـ.

وأما حديث عثمان: فرواه العقيلي في الضعفاء (٢٨٧/٢) ترجمة (٨٥٧) عبد الله بن عمران القرشي، قال: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري قال: حدثنا علي بن بحر القطان قال: حدثنا فضل بن حماد الواسطي قال: حدثنا عبد الله بن عمران القرشي قال: حدثنا مالك بن دينار عن معبد الجهني عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله - ﷺ -: «الحمي حظ كل مؤمن في الدنيا من النار».

وقال: إسناده غير محفوظ والمتن معروف بغير هذا الإسناد وقد روي في هذا أحاديث مختلفة في الألفاظ بأسانيد صالحة» اهـ.

وأما حديث عبد الله بن مسعود: فرواه القضاعي في مسند الشهاب رقم (٦٢)، أخبرنا محمد بن الحسين الموصلي ثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان ثنا صالح بن أحمد الهروي ثنا أحمد بن راشد الهلالي ثنا حمد بن عبد الرحمن الرواسي عن الحسن بن صالح عن الحسن بن عمرو عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله - ﷺ -: «الحمي حظ كل مؤمن من النار، وحمي ليلة يكفر خطايا سنة مُجْرَمَةٍ».

وأما حديث سعد بن معاذ: فرواه ابن سعد في الطبقات (٣٢٢/٣) في ترجمة سعد بن معاذ قال: أخبرنا الفضل بن دكين قال: أخبرنا إسماعيل بن مسلم العبدي قال: أخبرنا أبو المتوكل؛ أن نبي الله - ﷺ - ذكر الحمى فقال: «من كانت به فهي حظه من النار، فسألها سعد بن معاذ ربه فلزمته، فلم تفارقه حتى فارق الدنيا» اهـ.

قال الحافظ: أخرجه البزار عن عائشة بهذا. وقال: تفرد برفعه عثمان بن مخلد عن هشيم بن مغيرة عن إبراهيم عن الأسود عنها. وقال الدارقطني: عثمان لا بأس به، لكن خولف في رفع هذا الحديث، فرواه ببطل عن هشيم موقوفاً. قلت: وقد روي مرفوعاً من وجه آخر. أخرجه القضاعي في مسند الشهاب من طريق أحمد بن رشد الهلالي عن حميد بن عبد الرحمن الروالي عن الحسن بن صالح عن الحسن بن عمرو عن إبراهيم به. وزاد «وحمي ليلة تكفر خطايا سنة»، في الباب عن أبي هريرة عن ابن ماجه والحاكم، وعن أبي ريحانة عند الطبراني، وعن أبي أمامة عند أحمد. وعن عثمان عند العقيلي، وعن سعد بن معاذ عند ابن سعد في الطبقات، وعن أنس عند الطبراني بالأوسط، وكلها ضعيفة وهي بمعناه لا بلفظه. انتهى.

يكون غيره، قرئ: ﴿لَنْتَجِئَنَّ﴾، و«ننجي»، و«ينجي وينجي»: على ما لم يسم فاعله، إن أريد الجنس بأسره فهو ظاهر، وإن أريد الكفرة وحدهم فمعنى: ﴿ثُمَّ نَتَّبِعُ الَّذِينَ أَنفَأُوا﴾: أن المتقين يساقون إلى الجنة عقيب ورود الكفار، لا أنهم يواردونهم ثم يتخلصون، وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن أبي ليلى: «ثم ننجي»: بفتح الثاء، أي: هناك، وقوله: ﴿وَنَذُرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾: دليل على أن المراد بالورود والجثو حوالها، وأن المؤمنين يفارقون الكفرة إلى الجنة بعد تجايبهم، وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين.

﴿وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ

نَدِيًّا ﴿٧٣﴾

﴿بَيِّنَاتٍ﴾: مرتلات الألفاظ، ملخصات المعاني، مبيئات المقاصد: إما محكمات أو متشابهات، قد تبعها البيان بالمحكمات، أو بتبيين الرسول قولاً أو فعلاً، أو ظاهرات الإعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها، أو حججاً وبراهين، والوجه أن تكون حالاً مؤكدة، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]؛ لأن آيات الله لا تكون إلا واضحة وحججاً ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: يحتمل أنهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به، وأنهم يفوهون به لأجلهم وفي معناهم، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١]، قرأ ابن كثير: (مقاماً): بالضم، وهو موضع الإقامة والمنزل، والباقون: بالفتح وهو موضع القيام، والمراد: المكان والموضع، والندي: المجلس ومجتمع القوم، وحيث يتدون<sup>(١)</sup>، والمعنى: أنهم إذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا؛ وذلك مبلغهم من العلم، قالوا: أي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها أوفر حظاً من الدنيا حتى يجعل ذلك عياراً على الفضل والنقص، والرفعة والضعفة، ويروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزينة الفاخرة، ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله منهم.

﴿وَكُرْ أَهْلَكَ مَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرَءِيًّا ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَكُرْ﴾: مفعول ﴿أَهْلَكَ﴾، و﴿مِّن﴾: تبيين لإيهامها، أي: كثيراً من القرون أهلكتنا، وكان أهل عصر قرن لمن بعدهم؛ لأنهم يتقدمونهم، و﴿هُم أَحْسَنُ﴾: في محل نصب

(١) قوله «حيث يتدون» في الصحاح «ندوت» أي حضرت الندي. وانديت: مثله. (ع)

صفة لكم؛ ألا ترى أنك لو تركت: (هم): لم يكن لك بدّ من نصب (أحسن): على الوصفية.

الأثاث: متاع البيت، وقيل: هو ماجد من الفرش، والخرثي: ما ليس منها؛ وأنشد الحسن بن علي الطوسي [من البسيط]:

تَقَادَمَ الْعَهْدُ مِنْ أُمِّ الْوَلِيدِ بِنَا دَهْرًا وَصَارَ أَثَاثُ الْبَيْتِ خُرْثِيًّا<sup>(١)</sup>

قرئ على خمسة أوجه ﴿وَرِيًّا﴾ وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول، من رأيت. و(ريثا)، على القلب؛ كقولهم: راء في رأي، و(ريا)؛ على قلب الهمزة ياء والإدغام، أو من الري الذي هو النعمة والترفة، من قولهم: ريان من النعيم، و«ريا»: على حذف الهمزة رأساً، ووجهه أن يخفف المقلوب وهو «ريتا» بحذف همزته وإلقاء حركته على الياء الساكنة قبلها، و(زيا)، واشتقاقه من الزي وهو الجمع؛ لأن الزي محاسن مجموعة، والمعنى: أحسن من هؤلاء.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّعَاةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ (٧٥)

أي: مد له الرحمن، يعني: أمهله وأملى له في العمر، فأخرج على لفظ الأمر إيداناً بوجود ذلك، وأنه مفعول لا محالة، كالمأمور به الممثل، لتقطع معاذير الضال، ويقال له يوم القيامة: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَنْذِكُرْ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ﴾ [فاطر: ٣٧]، أو كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُعَلِّمُهُمْ لِيزَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، أو ﴿مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥]، في معنى: الدعاء، بأن يمهله الله وينفس في مدة حياته، في هذه الآية وجهان:

أحدهما: أن تكون متصلة بالآية التي هي رابعها، والآيتان ١/٨ اعتراض بينهما، أي قالوا: أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً، ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ أي: لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه إلى أن يشاهدوا الموعود رأي عين، ﴿إِمَّا الْعَذَابَ﴾: في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلاً وأسراً وإظهار الله دينه على الدين كله على أيديهم، وإما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال، فحينئذ يعلمون عند المعاينة أن الأمر على عكس ما قدروه، وأنهم شر مكاناً وأضعف جنداً، لا خير مقاماً

(١) أثاث البيت: أمتعته ولوازمه: والخرثي كالكرسي: العتيق من ذلك، يقول: تقادم وتطاول بنا اللقاء من أم الوليد، أي: تباعد زمنه. فدهرا: تمييز. ويجوز أنه ظرف، أي: تباعد عهد اللقاء من محبوبتي زمناً طويلاً وصار متاع البيت عتيقاً قديماً. وفيه تحسر على عدم اللقاء.

وأحسن ندياً، وأن المؤمنين على خلاف صفتهم.

والثاني: أن تتصل بما يليها، والمعنى: أن الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم، والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم، وبأن الألف لا تنفع فيهم وليسوا من أهلها، والمراد بالضلالة: ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم إلى القول الذي قالوه، ولا ينفكون عن ضلالتهم إلى أن يعاينوا نصره الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة ومقدماتها.

فإن قلت: حتى هذه ما هي؟

قلت: هي التي تحكي بعدها الجمل؛ ألا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله: ﴿إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ ﴿تَسَيَّلُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾: في مقابلة ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾؛ لأن مقامهم هو مكانهم ومسكنهم، والندي: المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعاونهم وأنصارهم، والجند: هم الأنصار والأعوان.

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَيِّنَاتُ الْصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ (٧٦)

﴿وَيَزِيدُ﴾: معطوف على موضع فليمدد؛ لأنه واقع موقع الخبر، تقديره: من كان في الضلالة مد أو يمد له الرحمن<sup>(١)</sup>، ويزيد: أي يزيد في ضلال الضال بخذلانه، ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه، ﴿وَالْبَيِّنَاتُ الْصَّالِحَاتُ﴾: أعمال الآخرة كلها، وقيل: الصلوات، وقيل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أي هي ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا﴾: من مفاخرات الكفار، ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾: أي: مرجعاً وعاقبة، أو منفعة، من قولهم: ليس لهذا الأمر مرد:

وَهَلْ يَرُدُّ بِكَأَيِّ زَنْدًا<sup>(٢)</sup>

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ولا يصح أن يكون «وَيَزِيدُ» معطوفاً على «فَلْيَمْدُدْ» سواء كان دعاء أم خبراً بصورة الأمر؛ لأنه في موضع الخبر إن كانت «مَنْ» موصولة، أو في موضع الجواب إن كانت «مَنْ» شرطية. وعلى كلا التقديرين فالجملة من قوله: «وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى» عارية من ضمير يعود على من يربط جملة الخبر بالمبتدأ، أو جملة الشرط بالجزاء الذي هو «فَلْيَمْدُدْ»، و«ما» عطف عليه؛ لأن المعطوف على الخبر خبر، والمعطوف على جملة الجزاء جزء، وإذا كانت أداة الشرط اسماً لا ظرفاً تعين أن يكون في جملة الجزاء ضميره، أو ما يقوم مقامه، وكذا في الجملة المعطوفة عليها». قلت: وقد ذكر أبو البقاء أيضاً كما ذكر الزمخشري. وقد يُجابُ عَمَّا قَالَهُ: بأننا نختار على هذا التقدير أن تكون «مَنْ» شرطية، قوله: «لا بد من ضمير يعود اسم الشرط غير الظرف» ممنوع؛ لأن فيه خلافاً قدمت تحقيقه، وما يستدل؛ عليه في سورة البقرة، فقد يكون الزمخشري وأبو البقاء من القائلين: بأنه لا يشترط. انتهى. الدر المصون.

(٢) تقدم.

فإن قلت: كيف قيل خير ثواباً كأن لمفاخراتهم ثواباً، حتى يجعل ثواب الصالحات خيراً منه؟ قلت: كأنه قيل: ثوابهم النار؛ على طريقة قوله [من الطويل]:

فَأَعْتَبُوا بِالصُّيْلِمِ (١)

وقوله [من الكامل]:

شَجَعَاءَ جِرَّتْهَا الذَّمِيلُ تَلُوكُهُ أَصْلًا إِذَا رَاحَ الْمَطِيئُ غِرَاتًا (٢)

وقوله [من الوافر]:

تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ (٣)

ثم بنى عليه خير ثواباً، وفيه ضرب من التهكم الذي هو أغيب للمتهدد من أن يقال له: عقابك النار.

فإن قلت: فما وجه التفضيل في الخير كأن لمفاخرهم شركاً فيه؟

قلت: هذا من وجيز كلامهم، يقولون: الصيف أحز من الشتاء، أي: أبلغ من الشتاء في برده.

﴿أَفْرَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِيئُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِنَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾

لما كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقاً إلى الإحاطة بها علماً وصحة الخبر عنها، استعملوا «أرأيت» في معنى: «أخبر»، والفاء جاءت لإفادة معناها الذي هو التعقيب، كأنه قال: أخبر - أيضاً - بقصة هذا الكافر، واذكر حديثه عقيب حديث أولئك، ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ من قولهم: أطلع الجبل: إذا ارتقى إلى أعلاه وطلع (٤) الشئ، قال جرير [من الكامل]:

- (١) تقدم شرح هذا الشاهد بالجزء الأول فراجع إن شئت اهـ .
- (٢) الشجع: سرعة نقل القوائم. والشجعاء: السريعة السير. والعجرة - بالكسر -: ما يجتره البعير من كرشه يمضغه. والذميل: نوع من السير. واللوك: المضغ. والأصل: جمع أصيل، وهو من العصر للغروب، والرواح: من الظهر إليه. والغراث: الجياح يصف ناقته بسرعة السير، وشبه السير عندها بجرتها، بجامع سرعة الحركة وانطباع الناقة واستلذاها لكل. وجعلها تبرزه شيئاً فشيئاً كالجرة للمباعدة. وفيه دلالة على خلو بطنها من العلف إذا لاح، أي: إذا كان غيرها لا يجد قوة على السير، فالغراث: استعارة. ويجوز أن المعنى أنها سريعة في السير ولو كانت جائعة كغيرها من المطايا، فالغراث حقيقة.
- (٣) تقدم شرح هذا الشاهد بالجزء الأول عند تفسير آية ١٠ من سورة البقرة فراجع إن شئت اهـ .
- (٤) قوله «وطلع الشئ» في الصحاح «طلع الجبل» بالكسر: علوته. (ع)

لَا قَيْتُ مُطَّلَعِ الْجِبَالِ وَعُورًا<sup>(١)</sup>

ويقولون: مرّ مطلعاً لذلك الأمر، أي: عالياً له مالكاً له، ولاختيار هذه الكلمة شأن، يقول: أو قد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار، والمعنى: أن ما ادعى أن يؤتاه وتألّى عليه لا يتوصل إليه إلا بأحد هذين الطريقتين: إما علم الغيب، وإما عهد من عالم الغيب، فبأيهما توصل إلى ذلك؟ قرأ حمزة والكسائي: «ولدا»، وهو جمع ولد، كأسد في أسد، أو بمعنى: الولد كالعرب في العرب، وعن يحيى بن يعمر: «ولدا»: بالكسر، وقيل في العهد: كلمة الشهادة، وعن قتادة: هل له عمل صالح قدّمه فهو يرجو بذلك ما يقول؟ وعن الكلبي: هل عهد الله إليه أنه يؤتاه ذلك؟ عن الحسن - رحمه الله -: نزلت في الوليد بن المغيرة، والمشهور أنها في العاصي بن وائل، قال خباب بن الأرت: كان لي عليه دين فاقتضيته، فقال: لا والله حتى تكفر بمحمد، قلت: لا والله لا أكفر بمحمد حيّاً ولا ميتاً ولا حين تبعث، قال: فإني إذا مت بعثت؟ قلت: نعم، قال: إذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فأعطيك (٩٣٦)، وقيل: صاغ له خباب حليّاً فاقتضاه الأجر، فقال: إنكم تزعمون أنكم تبعثون، وأن في الجنة ذهباً وفضة وحريراً، فأنا أقضيك ثم؛ فإني أوتى مالاً وولداً حينئذٍ، ﴿كَلَّا﴾:

٩٣٦ - أخرجه البخاري (٢١٣/٥) كتاب الإجارة، باب هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب؟ حديث (٢٢٧٥) ومسلم (١٥١/٩ - نووي) كتاب صفات المنافقين، باب سؤال اليهود النبي - ﷺ - عن الروح حديث (٢٧٩٥)، والترمذي (٣١٨/٥) كتاب تفسير القرآن، باب من سورة مريم حديث (٣١٦٢).  
والنسائي في الكبرى (٣٩٥/٦) كتاب التفسير حديث (١١٣٢٢)، والطبري في التفسير (٣٧٥/٨) رقم (٢٣٨٩٩)، والبيهقي في تفسيره (٢٠٧/٣).  
قال الحافظ: متفق عليه من طريق مسروق عن خباب أتم منه.

(١) إنني إذا مضر عليّ تحدثت لاقيت مطلع الجبال وعورا

لجبرير. ومضر: اسم قبيلة صرف للضرورة، ومطلع - بتشديد الطاء -: اسم مكان على صورة المفعول، من اطلع المشدد، وأصله: اطلع، بناء الافتعال، قلبت طاء وأدغمت فيها ما قبلها، وهو نصب على الظرفية. والوعور: جمع وعر، أي: صعب مفعول لاقيت، أو المفعول هو مطلع. ووعوراً: حال، لا سيما على رواية فتح واوه على أنه صيغة مبالغة، يقول: إذا تقولت على مضر ما لا أرتضيه. أو تكلمت في قتلي، وجدت في مطالع الجبال أشياء صعباً فأعجز عن الهرب. أو المعنى: أنه يقتحم الصعاب ولا يبالي بها ويهرب منهم. وعلى الحالية: لاقيت مطلع الجبال حال كونه أماكن صعبة، والمطلع متعدد لإضافته لمتعدد، وعلى فتح الواو فظاهر.  
ينظر: ديوانه ص (٢٢٩)، ولسان العرب (طلع)، وتهذيب اللغة (١٧١/٢، ٤٣٠/٤)، وأساس البلاغة (طلع)، وتاج العروس (طلع).

ردع وتنبه على الخطأ، أي: هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه.

فإن قلت: كيف قيل: ﴿سَنَكْتُبُ﴾: بسين التسويف، وهو كما قاله كتب من غير

تأخير، قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (١٨)؟

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله؛ على طريقة قوله [من الطويل]:

إِذَا مَا أُنْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لَثِيمَةً . . . . . (١)

أي: تبين وعلم بالانتساب أنني لست بابن لثيمة.

والثاني: أن المتوعد يقول للجاني: سوف أنتقم منك، يعني: أنه لا يخل بالانتصار

وإن تطاول به الزمان واستأخر، فجزد ههنا لمعنى الوعيد، ﴿وَمَمْدُكُمْ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ ٨/٢ب

أي: نطوّل له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزون، أو

نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد، يقال: مده وأمده بمعنى؛ وتدل عليه قراءة

عليّ بن أبي طالب: «ونمد له»: بالضم، وأكد ذلك بالمصدر؛ وذلك من فرط غضب الله،

نعوذ به من التعرّض لما نستوجب به غضبه، ﴿وَرَثُهُ مَا يَقُولُ﴾ أي: نزوي عنه ما زعم أنه

يناله في الآخرة ونعطيّه من يستحقّه، والمعنى مسمى ما يقول، ومعنى: ﴿مَا يَقُولُ﴾، وهو

الما والولد، يقول الرجل: أنا أملك كذا، فتقول له: ولي فوق ما تقول، ويحتمل أنه قد

تمنى وطمع أن يؤثبه الله في الدنيا مالا وولداً، وبلغت به أشعبيته<sup>(٢)</sup> أن تألى على ذلك في

قوله: ﴿لَأَوْتِيَنَّ﴾؛ لأنه جواب قسم مضمّر، ومن يتأل على الله يكذبه، فيقول الله - عز

(١) رمتني عن قوس العدو وباعدت عبيدة زاد الله ما بيننا بعدا

إذا ما انتسبنا لم تلدني لثيمة ولم تجدي من أن تقري بها بدا

لزائد بن صعصعة النعسي، كانت له امرأة اسمها عبيدة فطمحت عليه وكانت أمها سرية، فعرض

لها بذلك، يقول: رمتني بأمر قبيح كأنه نبلة صادرة عن قوس العدو، أو أبعدتني عنها بعد النبلة عن

القوس: أي تسببت في ذلك وبالغت في بعد الرمي، و«زاد الله» جملة دعائية، ثم قال: إذا أظهرنا

نسبنا يتبين أنني لم تلدني لثيمة بخلافك، ولم تجدي مفرأ ولا غنى من إقرارك بتلك القضية. ويجوز

أن المعنى: أنه لا بد من إقرارك بأملك اللثيمة، وعلم مرجع الضمير من ذكر المقابلة وهو أمه، وهذا

أدق في التبكيت. ويروى: به، أي: بذلك النسب. وفي الالتفات من الغيبة إلى الخطاب نوع من

التشنيع والتوبيخ، كأنه عجب الناس أولا من حالها، ثم التفت يكتها بلؤم أمها وأنها رقيقة.

ينظر: حاشية الأمير على المغني (٢٥/١)، وجواهر الأدب ص (٢٠٥) وشرح شذور الذهب ص

(٤٤٠)، وشرح شواهد المغني ص (٨٩)، ومغني اللبيب ص (٢٦).

(٢) قوله «أشعبيته» في الصحاح «أشعب» اسم رجل كان طماعا. وفي المثل: أطمع من أشعب اهـ.

ومنه: أخذت الأشعبية، بمعنى: خصلة أشعب، وهي الطمع. (ع)

وجل :- هب أنا أعطيناها ما اشتهاه، إما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فرداً غداً بلا مال ولا ولد؛ كقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدًا...﴾ الآية [الأنعام: ٩٤]، فما يجدي عليه تمنيه وتأليه، ويحتمل أن هذا القول؛ إنما يقوله ما دام حياً، فإذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله، ويأتينا رافضاً له منفرداً عنه غير قائل له، أو لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه، بل نثبتته في صحيفة لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به، ﴿وَيَأْتِينَا﴾: على فقره ومسكنته، ﴿فَرْدًا﴾: من المال والولد، لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه، فيجتمع عليه الخطبان: تبعة قوله ووباله، وفقد المطموع فيه، فرداً على الوجه الأول: حال مقدرة؛ نحو: ﴿فَأَذَلُّوهُمَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]؛ لأنه وغيره سواء في إتيانه فرداً حين يأتي، ثم يتفاوتون بعد ذلك.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (٨١) ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (٨٢)

أي: ليتعززوا بالهتهم؛ حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وأنصاراً ينقذونهم من العذاب، و﴿كَلَّا﴾: ردع لهم وإنكار لتعززهم بالآلهة، وقرأ ابن نهيك: (كلا)، ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي: سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم؛ كقولك: زيدا مررت بغلامه، وفي محتسب ابن جني: «كلا» بفتح الكاف والتنوين، وزعم أن معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا، ولقائل أن يقول: إن صحت هذه الرواية، فهي كلا التي هي للردع، قلب الواقف عليها ألفها نوناً كما في قواريرأ، والضمير في (سيكفرون): للآلهة، أي: سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون: والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلَقُوا إِلَيْهِمْ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ٨٦]، أو للمشركين: أي: ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا قد عبدوها، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، ﴿عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾: في مقابلة: ﴿لَهُمْ عِزًّا﴾، والمراد: ضد العز وهو الذل والهوان، أي: يكونون عليهم ضداً لما قصدوه وأرادوه، كأنه قيل: ويكونون عليهم ذلاً، لا لهم عزاً أو يكونون عليهم عوناً، وال ضد: العون، يقال: من أضدادكم، أي: أعوانكم وكان العون سمي ضداً؛ لأنه يضاد عدوك وينافيه بإعانتته لك عليه.

فإن قلت: لم وحد؟

قلت: وحد توحيده قوله - عليه السلام -: «وَهُمْ يَدَّ عَلَيَّ مِنْ سِوَاهُمْ» (٩٣٧)، لاتفاق

٩٣٧ - تقدم. قال الحافظ: هذا طرف من حديث لعلي - رضي الله عنه، أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد =

كلمتهم وأنهم كشيء واحد؛ لفرط تضامنهم وتوافقهم، ومعنى كون الآلهة عوناً عليهم: أنهم وقود النار وحصب جهنم؛ ولأنهم عذبوا بسبب عبادتها وإن رجعت الواو في سيكفرون ويكونون إلى المشركين؛ فإن المعنى: ويكونون عليهم - أي أعداءهم - ضداً، أي: كفره بهم، بعد أن كانوا يعبدونها.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ آلِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٨٢)

الأز، والهز، والاستفزاز: أخوات، ومعناها: التهييج وشدة الإزعاج، أي: تغريهم على المعاصي وتهييجهم لها بالوساوس والتسويلات، والمعنى: خلينا بينهم وبينهم<sup>(١)</sup> ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسراً، والمراد تعجيب رسول الله - ﷺ - بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة والمردة من الكفار، وأقاولهم، وملاحتهم، ومعاندتهم للرسول، واستهزاؤهم بالدين: من تماديهم في الغي وإفراطهم في العناد، وتصميمهم على الكفر، واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه، وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ (٨٤)

عجلت عليه بكذا: إذا استعجلته منه، أي: لا تعجل عليهم بأن يهلكوا ويبيدوا، حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم، وتطهر الأرض بقطع دابرهم، فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم إلا إيام محصورة وأنفاس معدودة، كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وعن ابن عباس - رضي الله عنه -: أنه كان إذا قرأها بكى، وقال: آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد: فراق أهلك، آخر العدد: دخول قبرك، وعن ابن السماك أنه كان عند المأمون فقرأها، فقال: إذا كانت

-----  
 = وإسحاق والحاكم من طريق قيس بن عباد عن علي - رضي الله عنه - «أنه أخرج من قراب سيفه كتاباً عهد إليه رسول الله - ﷺ - فإذا فيه. وذكره. وفيه هذا، وروى ابن ماجه من حديث ابن عباس رفعه قال: «المسلمون تنكافأ دماؤهم. وهم يد على من سواهم - الحديث»، وفي الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد والبخاري والطبراني من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده نحوه، وعن عبد الله بن عمر، أخرجه ابن حبان. وعن معقل ابن يسار أخرجه ابن ماجه. انتهى.

(١) قوله: «والمعنى خلينا بينهم وبينهم» هذا هو الموافق لمذهب المعتزلة. من أنه تعالى لا يفعل الشر. أما على مذهب أهل السنة من أنه تعالى يفعل الشر كالخير، فالمناسب: سلطناهم عليهم. (ع)

الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد، فما أسرع ما تنفذ.

### ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا﴾ (٨٥)

نصب ﴿يَوْمَ﴾: بمضمر، أي: يوم ﴿نَحْشُرُ﴾، ونسوق: نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف، أو أذكر يوم نحشر، ويجوز أن ينتصب بلا يملكون، ذكر المتقون بلفظ التبجيل، وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه ٩/٢ أكرامته، كما يفد الوفاة على الملوك منتظرين للكرامة عندهم، وعن عليّ - رضي الله عنه -: ما يحشرون والله على أرجلهم، ولكنهم على نوق رحالها ذهب، وعلى نجائب سروجها ياقوت (٩٣٨).

### ﴿وَسَوْقُ الْمَجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾ (٨٦)

وذكر الكافرون بأنهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء. والورود: العطاش لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش وحقيقة الورد: المسير إلى الماء، قال [من الرجز]:

رِدِّي رِدِّي وَزِدَّ قَطَاةَ صَمَاءَ كُذْرِيَّةٍ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا<sup>(١)</sup>

٩٣٨ - أخرجه الحاكم (٣٧٧/٢) في التفسير، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٧/٧) رقم (٣٤٠١٤)، وابن جرير في التفسير (٣٨٠/٨) رقم (٢٣٩٢٩)، والواحدي في الوسيط (١٩٦/٣)، وذكره البيهقي (٢٠٩/٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٨/٤)، وعزاه لعبد الله بن أحمد في زوائد المستند وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث.

وقال الهيثمي في المجمع (٥٨/٧) تفسير سورة مريم: «رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي وهو ضعيف» . اهـ.

قال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الله بن أحمد في زيادات المسند، والطبري، وابن أبي حاتم من رواية عبد الرحمن بن إسحاق بن النعمان بن سعد بن علي نحوه، وأخرجه ابن أبي داود في كتاب البعث من هذا الوجه مرفوعاً. ورواه ابن عدي من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً أيضاً. انتهى.

(١) يخاطب ناقته. وردى: أمر من الورد، وتكريره للتوكيد. والورد: اسم مصدر منه أيضاً، أو اسم للماء المورود، أي: ردي الماء كورود قطاة صماء لا تسمع صوت القانص فلا تنفر عن الماء: والكدر - بالضم - نوع من القطا رمادي اللون. والكدرية: نسبة إليه، من نسبة الجزئي إلى كليه، وهذه الياه هي الفارقة بين اسم الجنس وواحد، كروم ورومي. وفيه تشبيه ناقته ضمناً بالقطاة في الخفة والسرعة. وصما والما: بالقصر، فإن روي بالمد والسكون على أن الشعر من مشطور المنسرح الموقوف، فمحله حرف الألف.

ينظر: شواهد البحر (٢١٧/٦)، وروح المعاني (١٣٦/١٦)، الدر المصون (٥٢٦/٤).

فسمي به الواردون. وقرأ الحسن: يحشر المتقون، ويساق المجرمون.

## ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (١٧)

الواو في: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ إن جعل ضميراً<sup>(١)</sup> فهو للعباد، ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين؛ لأنهم على هذه القسمة، ويجوز أن تكون علامة للجمع، كالتي في: «أكلوني البراغيث»، والفاعل: ﴿مَنِ اتَّخَذَ﴾؛ لأنه في معنى الجمع<sup>(٢)</sup>، ومحل: (من اتخذ): رفع على البدل، أو على الفاعلية، ويجوز أن ينتصب على تقدير حذف المضاف، أي: إلا شفاعه من اتخذ، والمراد: لا يملكون أن يشفع لهم، واتخاذ العهد: الاستظهار بالإيمان والعمل، وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: «أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَتَّخِذَ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا» ح قالوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «يَقُولُ كُلُّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، إِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحَدَّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَنَّكَ إِنْ تَكَلَّمْتَنِي إِلَى نَفْسِي تُقَرِّبَنِي مِنَ الشَّرِّ وَتُبَاعِدَنِي مِنَ الْخَيْرِ، وَأَنِّي لَا أَتَّقِي إِلَّا بِرَحْمَتِكَ، فَأَجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْدًا تُوفِّيَنِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِعَادَ» فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ طَبِعَ عَلَيْهِ بِطَابَعٍ، وَوَضِعَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَيُّنَ الَّذِينَ لَهُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدٌ، فَيَدْخُلُونَ

(١) قال محمود: «يحتمل أن تكون الواو في لا يملكون ضميراً... إلخ» قال أحمد: وفي هذا الوجه تعسف من حيث أنه إذا جعله علامة لمن فقد كشف معناها وأفصح بأنها متناولة جمعا، ثم أعاد على لفظها بالإنفراد ضمير اتخذ، ففيه الإعادة على لفظها بعد الإعادة على معناها بما يخالف ذلك، وهو مستنكر عندهم لأنه إجمال بعد إيضاح. وذلك تعكيس في طريق البلاغة، وإنما محجتها الواضحة الإيضاح بعد الإجمال. والواو على إعرابه، وإن لم تكن عائدة على من إلا أنها كاشفة لمعناها كشف الضمير العائد له، فتنبه لهذا العقد؛ فإنه أروج من النقد [من الطويل]:

وفي عنق الحسناء يستحسن العقد .....

(٢) قال السمين الحلبي: وفيه بعد، وكأنه قيل: لا يملك الشفاعه إلا المتخذون عهداً. قال الشيخ: ولا ينبغي حَملُ القرآن على هذه اللغة القليلة مع وضوح جعل الواو ضميراً، وقد قال الأستاذ أبو الحسن بن عصفور: إنها لغة ضعيفة. قُلْتُ: قد قالوا ذلك في قوله تعالى: ﴿عَمُوا وَصَكُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فلهذا الموضع بهما أسوة. ثم قال الشيخ: وأيضاً فالألف والواو والنون التي تكون علامات لا ضمائر لا يحفظ ما يجيء بعدها فاعلاً إلا بصريح الجمع، وصريح التثنية أو العطف أما أن يأتي بلفظ مفرد، ويطلق على جمع أو مشى، فيحتاج في إثبات مثل ذلك إلى نقل، وأما عود الضمائر مثناة أو مجموعة على مفرد في اللفظ يراد به المشى والمجموع فمسموع معروف في لسان العرب، على أنه يمكن قياس هذه العلامات على تلك الضمائر، ولكن الأحوط ألا يقال إلا بسماع. انتهى. الدر المصون.

الْجَنَّةَ، (٩٣٩) وقيل: كلمة الشهادة، أو يكون من: «عهد الأمير إلى فلان بكذا»: إذا أمره به، أي: لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها؛ وتعضده مواضع في التنزيل: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُفَعِّلُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضَى﴾ [النجم: ٢٦]، ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُمْ﴾ [سبا: ٢٣]، ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرِضَىٰ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۝٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَيَخْرُ الْجِبَالُ ۝٩٠ هَذَا ۝٩١ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩٢﴾

قرئ: (إذا): بالكسر والفتح، قال ابن خالويه: الإذ والأذ: العجب، وقيل: العظيم المنكر، والإذة: الشدة، وأدنى الأمر وأدنى: أثقلني وعظم عليّ إذا، ﴿يكاد﴾: قراءة الكسائي ونافع بالياء، وقرئ: ﴿ينفطرن﴾<sup>(١)</sup>: الانفطار من فطره إذا شقه، والتفطر: من فطره إذا شقه وكرر الفعل فيه، وقرأ ابن مسعود: «ينصدعن»، أي: تهد هذا، أو مهدودة، أو مفعول له، أي: لأنها تد.

فإن قلت: ما معنى انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال؟ ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات؟

قلت: فيه وجهان:

٩٣٩ - قال الزيلعي (٣٣٩/٢)؛ «غريب مرفوعاً، ولم أجده إلا موقوفاً» اهـ. والموقوف رواه الحاكم (٣٧٧/٢) في التفسير، والطبراني في الكبير (٢٠٩/٩) رقم (٨٩١٨)، وذكره السيوطي في الدر (٥١٠/٤)، وعزاه لابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وابن مردويه. وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف لأبي عبد الله الترمذي في نوادر الأصول. قال الحافظ: أخرجه الثعلبي قال: روى أبو وائل عن عبد الله بن مسعود - فذكره بتمامه، وروى ابن مردويه في تفسير الأحزاب من طريق عوف بن عبد الله عن رجل من بني حليم عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله - ﷺ - «العهد أن تقول: اللهم فاطر السموات والأرض - الحديث أصغر مما ذكر» ورواه الحاكم من وجه آخر عن عون بن ابن ماجه، عن الأسود، عن ابن مسعود أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ قال: الله تعالى يقول يوم القيامة: من كان له عندي عهد فليقم، قال: فقلنا: فعلمنا يا أبا عبد الرحمن قال: فاقروا: اللهم فاطر السموات والأرض - فذكره مختصراً، وفي الباب عن أبي بكر - رضي الله عنه - أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر في السادس والسبعين بعد المائة. انتهى.

(١) قوله: «وقرئ ينفطرن» يفيد أن القراءة المشهورة ينفطرن» بالناء. (ع)

أحدهما: أن الله سبحانه يقول: كدت أفعل هذا بالسموات والأرض<sup>(١)</sup> والجبال عند وجود هذه الكلمة غضباً مني على من تفوّه بها، لولا حلمي ووقارري، وأني لا أعجل بالعقوبة كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنتَهُمَا كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

والثاني: أن يكون استعظماً للكلمة، وتهويلاً من فظاعتها، وتصويراً لأثرها في الدين وهدمها لأركانها وقواعده، وأن مثال ذلك الأثر في المحسوسات: أن يصيب هذه الأجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخز، وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾، وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة، وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله، والتعرض لسخطه، وتنبيه على عظم ما قالوا، في ﴿أَنْ دَعَاكَ﴾: ثلاثة أوجه: أن يكون مجروراً بدلاً من الهاء في منه، كقوله [من الطويل]:

عَلَى حَالَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْقَوْمِ حَاتِمًا      عَلَى جُودِهِ لَضَنَّ بِالْمَاءِ حَاتِمًا<sup>(٢)</sup>  
ومنصوباً بتقدير سقوط اللام وإفشاء الفعل، أي: هذا لأن دعوا، علل الخور بالهدء، والهدء بدعاء الولد للرحمن، ومرفوعاً بأنه فاعل هداً، أي: هدها دعاء الولد للرحمن، وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة أنه هو الرحمن وحده، لا يستحق هذا الاسم غيره، من قبل أن أصول النعم وفروعها منه: خلق العالمين، وخلق لهم جميع ما معهم؛ كما قال بعضهم: فليتكشف عن بصرك غطاؤه، فأنت وجميع ما عندك عطاؤه، فمن أضاف إليه ولداً، فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن، هو من دعا بمعنى: سمي المتعدي إلى مفعولين، فاقصر على أحدهما الذي هو الثاني؛ طلباً للعموم والإحاطة بكل ما دعي له ولداً، أو من دعا بمعنى: نسب، الذي مطاوعه ما في قوله

(١) قال محمود: «معناه: كدت أهد السّموات وأفطر الأرض... إلخ» قال أحمد: ويظهر لي وراءها معنى آخر والله أعلم؛ وذلك أن الله تعالى قد استعار لدلائها على وجوده عز وجل موصوفاً بصفات الكمال الواجبة له، أن جعلها تسبح بحمده. قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ الْأُتُتَبِّحُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] ومما دلت عليه السّموات والأرض والجبال بل وكل ذرة من ذراتها: أن الله تعالى مقدس عن نسبة الولد إليه [من المتقارب]:

وفي كل شيءٍ له آية      تدل على أنه واحد

فالمعتقد نسبة الولد إلى الله تعالى قد عطل دلالة هذه الموجودات على تنزيه الله وتقديسه، فاستعير لإبطال ما فيها من روح الدلالة التي خلقت لأجلها، إبطال صورها بالهد والانفطار والانشقاق «فسبحان من قسم عباده، فجعل العباد، تستلذ فتسبح بتسبيح داود، يكاد ينهد لمقاله من هو عن باب التوفيق مطرود مردود».

(٢) تقدم.

- عليه السلام -: «مَنْ أَدْعَى إِلَى غَيْرِ ٩/٢ ب مَوَالِيهِ» (٩٤٠)؛ وقول الشاعر [من البسيط]:

إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لَا نُدْعِي لِأَبٍ  
أي: لا نتسب إليه.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَسْجُدَ وَلدًا﴾ (٩٦)

انبغي: مطاوع، «بغي»: إذا طلب، أي: ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلاً؛ لأنه محال غير داخل تحت الصحة، أما الولادة المعروفة: فلا مقال في استحالتها، وأما التبني: فلا يكون إلا فيما هو من جنس المتبني، وليس للقديم سبحانه جنس، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾  
وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (٩٥)

﴿مَنْ﴾ موصوفة لأنها وقعت بعد كل نكرة، وقوعها بعد رب في قوله [من الرمل]:  
رُبٌّ مَنْ أَنْضَجَتْ غَيْظًا صَدْرُهُ  
(٢)

٩٤٠ - تقدم في البقرة من حديث علي وهو غريب بهذا اللفظ؛ كما قال الزيلعي.

قال الحافظ: لم أره بلفظ «من ادعى» وإنما هو عند مسلم بلفظ «اتمى» أخرجه من حديث علي بن أبي طالب رفعه «من ادعى إلى غير أبيه أو اتمى إلى غير مواليه - الحديث». انتهى.

(١) إنا بني نهشل لا ندعى لأب  
يكفيه إن نحن متنا أن يسر بنا  
عنه ولا هو بالأبناء يشرينا  
وهو إذا ذكر الآباء يكفينا

ليشامة بن حزن النهشلي، ويقال: ادعى فلان في بني هاشم ولهم وإليهم، أي: انتسب إليهم وادعى عنهم إذا انتسب لغيرهم. وعدل عنهم يقول: إنا لا نتسب لأب غير نهشل، وبني نهشل: نصب على الاختصاص يفيد المدح ولا هو يشرينا، أي يبيعنا ويستبدلنا بأبناء غيرنا، ثم قال: يكفيه منا سروره بنا إن متنا ولحقتنا، حيث أوجبنا له ولنا الثناء الجميل من شجاعتنا وحسن خصالنا. و«إن» بمعنى «إذا» لأن الموت لا شك فيه. ويروى «أن يسب» بياء، ولعل معناه: لا مسية له غير موتنا في القتال، يعني: إن كان ذلك مسبة وليس كذلك، ويمكن أن تعبيره بالكفاية ليفيد أنه مستغن عن المدح من جهة أبنائه عند التفاخر. وعند عد مآثر الآباء لا نحتاج لغيره، فنتسب له لشرف بشرفه. ينظر الشذور ٦٧٤، والحامسة ١٠٢/١، والمؤتلف ٦٦، والكامل ٦٥، وابن يعيش ١٠١/٦ ورغبة الأمل ٦٦/٢، والدر المصون ٤٣/٢.

(٢) رب من أنضجت غيظاً قلبه  
وبراني كالشجا في حلقه  
لم يضرني غير أن يحسدني  
قد تمنى لي موتاً لم يطع  
عسراً مخرجه ما ينتزع  
فهو يزقو مثل ما يزقو الضوع

وقرأ ابن مسعود وأبو حيوه: (آتِ الرَّحْمَنَ): على أصله قبل الإضافة، الإحصاء: الحصر والضبط، يعني: حصرهم بعلمه وأحاط بهم، ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾: الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزير أنهم أولاد الله، كانوا بين كافرين، أحدهما: القول بأن الرحمن يصح أن يكون والدًا، والثاني: إشراك الذين زعموهم لله أولاداً في عبادته، كما يخدم الناس أبناء الملوك خدمتهم لأبائهم، فهدم الله الكفر الأول فيما تقدم من الآيات، ثم عقبه بهدم الكفر الآخر، والمعنى: ما من معبود لهم في السماوات والأرض من الملائكة ومن الناس إلا وهو يأتي الرحمن، أي: يأوي إليه ويلتجئ إلى ربوبيته عبداً منقاداً مطيعاً خاشعاً خاشياً راجياً، كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم، لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وكلهم متقلبون في ملوكته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم ويحمل أمورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم، لا يفوته شيء من أحوالهم، وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفرداً ليس معه من هؤلاء المشركين أحد وهم براء منهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾

قرأ جناح بن حبيش: ﴿وُدًّا﴾: بالكسر، والمعنى: سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير توذد منهم ولا تعرض للأسباب التي توجب الود ويكتسب بها

ويحييني إذا لاقيته      وإذا يخلوله لحمي رتع

لسويد بن أبي كاهل الشكري، ويتعين أن «من» نكرة موصوفة، لأن رب لا تجر إلا النكرة، ونضج اللحم والعنب ونحوهما نضجا فهو نضيج وناضج: أدرك وبلغ أوانه واستوى، أي: رب شخص طبخت قلبه من حر غيظه منى ولم يطع، أي لا استطاع تحمل سببه. والشجا: ما نشب في الحلق من عظم ونحوه، وعسراً إلخ: حال منه. ومخرجه أي خروجه مرفوع بالوصف، لم يضرنني شيئاً من الضرر غير الحسد، من ضاره يضيره ضيراً إذا ضره، فهو يزقو أي: يصيح مثل صياح الضوع: وهو ذكر البوم، وكثر تشبيه العرض المطعون فيه باللحم المأكول على طريق التصريحية، ثم شبهه الشاعر بالمرعى المخصب ترتع فيه الهائم. أو شبه المغتاب ببهيمة في المرعى على طريق الممكنية والترتع تخييل. ويحتمل استعارته للأكل الملائم للحم، ثم للظعن الملائم للعرض على طريق التصريح، أي: إذا يخلو له عرضي اغتاب كما يريد.

ينظر: خزنة الأدب ٢٣/٦/٢٥٢، الدرر ١/٣٠٢، والأغاني ١٣/٢٩٨ وشرح اختيارات المفضل ص ٩٠١، وشرح شواهد المغني ٢/٧٤٠، والشعر والشعراء ١/٤٢٨، شرح الأشموني ٢/٧٠، وشرح شذور الذهب ص ١٧٠، وشرح المفصل ٤/١١، ومغني اللبيب ١/٣٢٨، الأمالي الشجرية ٢/١٦٩، معاني القرآن للأخفش ١/١٩٠، مجاز القرآن ٢/٤١، المفضليات ١٩٨، الهمع ١/٩٢، الدرر ١/١١٠.

الناس مودات القلوب، من قرابة أو صداقة أو اصطناع بمبيرة أو غير ذلك؛ وإنما هو اختراع منه ابتداء اختصاصاً منه لأوليائه بكرامة خاصة، كما قذف في قلوب أعدائهم الرعب والهيبة؛ إعظماً لهم وإجلالاً لمكانهم، والسين: إما لأن السورة مكية، وكان المؤمنون حينئذٍ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله - تعالى - ذلك إذا دجا الإسلام، وإما: أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم إلى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم، وروي أن النبي - ﷺ - قال لعلي - رضي الله عنه -: «يَا عَلِيُّ، قُلْ: اللَّهُمَّ، اجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْدًا، وَاجْعَلْ لِي فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ مَوَدَّةً» (٩٤١)؛ فأنزل الله هذه الآية، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: يعني: يحببهم الله ويحببهم إلى خلقه، وعن رسول الله - ﷺ -: «يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: يَا جِبْرِيْلُ، قَدْ أَحْبَبْتُ فَلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيْلُ، ثُمَّ يَتَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحْبِبُوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَضَعُ لَهُ الْمَحَبَّةَ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ» (٩٤٢)، وعن قتادة: ما أقبل العبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه.

﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْثِيهِ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُذِرَ بِهِ قَوْمًا لَدُنَّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مَن أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾

هذه خاتمة السورة ومقطعها، فكأنه قال: بلغ هذا المنزل أو بشر به وأنذر؛ فإنما

٩٤١ - قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣٤١/٢).

رواه الثعلبي: أخبرنا عبد الخالق أنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن الصراف ببغداد ثنا أبو جعفر الحسن بن علي الفارسي ثنا إسحاق بن بشر الكوفي ثنا خالد بن يزيد عن حمزة الزيات عن أبي إسحاق السبيعي عن البراء بن عازب. قال: قال رسول الله - ﷺ - لعلي بن أبي طالب: «يَا عَلِيُّ، قُلْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْدًا، وَاجْعَلْ لِي فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ مَوَدَّةً» فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَسْجُلَةٌ لَهُمُ الرَّحْمَنُ ذُو الْعَرْشِ﴾. وعزاه أيضاً لابن مردويه والطبراني في جزء جمعه من أحاديث حمزة الزيات، وذكره السيوطي في الدر (٥١٢/٤)، وعزاه لابن مردويه والدلمي.

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والطبراني في مسند حمزة الزيات، وابن مردويه من حديث البراء بن عازب - رضي الله عنهما - وفيه إسحاق بن بشر عن خالد بن زيد، وهما متروكان. انتهى.

٩٤٢ - أخرجه البخاري (٤٤٧/٦) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة عليهم السلام حديث (٣٢٠٩) وأطرافه في (٦٠٤٠، ٧٤٨٥)، ومسلم (٤٣٣/٨ - نووي) كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده حديث (٢٦٣٧)، والترمذي (٣١٨/٥) التفسير من سورة مريم حديث (٣١٦١)، وعبد الرزاق (٤٥٠/١٠) رقم (١٩٦٧٣)، وأحمد (٤١٣/٢، ٥١٤)، وابن حبان في صحيحه (٨٥/٢ - ٨٦) رقم (٣٦٤ - ٣٦٥)، وأبو نعيم في الحلية (١٤١/٧).

قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي هريرة بمعناه. انتهى.

أنزلناه ﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلغتك وهو اللسان العربي المبين، وسهلناه وفصلناه، ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ﴾: وتنذر، واللدّ: الشداد الخصومة بالباطل، الآخذون في كل لديد؛ أي: في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم، يريد أهل مكة.

وقوله: ﴿وَكُرِّهْنَا﴾: تخويف لهم وإنذار، وقرئ: ﴿مُحْسٌ﴾: من حسه إذا شعر به، ومنه: الحواس والمحسوسات، وقرأ حنظلة: ﴿سَمْعٌ﴾: مضارع: أسمعت، والركز: الصوت الخفي، ومنه: ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض، والركاز: المال المدفون.

عن رسول الله - ﷺ -: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ مَرْيَمَ، أُعْطِيَ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، بَعْدَ مَنْ كَذَبَ زَكَرِيَّا وَصَدَّقَ بِهِ، وَيَحْيَى، وَمَرْيَمَ، وَعِيسَى، وَإِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ، وَمُوسَى، وَهَارُونَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَإِدْرِيسَ، وَعَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ دَعَا اللَّهَ فِي الدُّنْيَا وَبَعْدَ مَنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ» (٩٤٣).

---

٩٤٣ - تقدم تخريجه وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة وينظر حديث (٣٤٦).  
قال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه من حديث أبي. انتهى.